﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة: 1 - 9]

❁ مُناسَبَةُ السّورَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا ذكر اللّه تَعالى الفائزينَ النّاجينَ مِنْ قِسْمَي الإنسانِ في سورة العَصْرِ، وختَمَ بذِكْرِ الصَّبرِ؛ حصَلَ كمالُ التَّشوُّف إلى أوصافِ مقابليهم، وهمُ الهالِكونَ، فقال سُبحانَهُ مبيِّنًا أضَلَّهُم وأشقاهم، الذي يكونُ الصَّبْرُ على أذاهُ وضرَرِه في غاية الشِّدَّةِ؛ ليكونَ ما أعَدَّهُ اللّه تَعالى لهُ مِنَ العذابِ مَسْلاةً للصّابِرِ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[1].

ويقول الغرناطيّ: "لمّا قال سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: 2]؛ أتبعه بمثالٍ من ذكر نقصه وقصوره واغتراره وظنّه الكمالَ لنفسِه حتّى يعيب غيره، واعتماده على ما جمعه من المال ظنًّا أنّه يخلّده، وينجّيه، وهذا كلّه عين النّقص الذي هو شأن الإنسان، وهو المذكور في السّورة قبلُ، فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، فافتُتحت السّورة بذِكْرِ ما أعدّ له من العذاب جزاءً له على همزِه ولَمْزِه الذي أتمّ حسده، ثمّ ذكر تعالى مآله ومستقرّه بقوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾، أي: ليطرحنّ في النّار جزاء على اغترارِه وطَعْنِه"[2].

ويُمْكِنُ أن يُضاف إلى ذلك أنّه ذكر في السّورة السّابقة العناصر الأربعَة، التي يَكْتَمِل بها فلاح الإنسان ونجاحُه، وذكر هنا العناصر التي يكونُ بها هَلاكُهُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هُمَزَةٍ﴾: أصل (همز) تدلُّ على ضغط وعصر[3]، والهَمْزُ كالعَصْرِ والغَمْزِ والضَّغطِ، يقال: هَمَزْتُ الشَّيء في كفّي، ومنه: الهَمْزُ في الكلام؛ لأنَّه يُضغط، وقد هَمَزْتُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 243.
(2) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 367.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (همز).

الحرفَ، فانْهَمَز[1]، وهَمْزُ الإنسان: اغتيابُه، يقال: رجل هامِزٌ، وهَمّازٌ، وهُمَزَةٌ، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[2]، والهُمّاز: الجمع، وهم المغتابون في الغيب، واللُّماز: المغتابون في الحضور، ويقال: هَمَزتُه ولَمَزْتُه ولَهَزْتُه ونهَزْتُه؛ إذا دَفعْتَه، وكلُّ شَيْء دفعتَه؛ فقد هَمزتَه، والهَمّاز والهُمَزة: الَّذي يَهمز أخاهُ في قَفاه مِن خَلفه[3].

2) ﴿لُّمَزَةٍ﴾: أصل (لمز) يدلُّ على العيب[4]، واللَّمْزُ - كالغَمْز في الوَجْه - تَلمِزُه بفيك بكَلام خَفيٍّ، وهو الاغتياب وتتبُّع المعاب، يقال: لَمَزَهُ يَلْمِزُهُ ويَلْمُزُهُ لمزًا، ورجل لَمّازٌ ولُمَزَةٌ: كثير اللَّمز، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ورجلٌ لُمَزَةٌ: يَعيبك في وجْهك، ورجلٌ هُمزةٌ يَعيبك بالغَيْب، وأصله الإشارة بالعين ونحوها، ورجلٌ لَمّازٌ ولُمَزَةٌ، أي: عَيّابٌ، ويقال أيضًا: لَمَزَهُ يَلْمِزُهُ لمزًا؛ إذا ضربَهُ، ودَفَعَهُ[5].

3) ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: أصل (نبذ) يدلُّ على طرح وإلقاء[6]، ومِنه: النَّبذ، وهو إلقاء الشَّيء وطرحُهُ لقلَّة الاعتداد به؛ ولذلك يقال: نَبَذْتُهُ نَبْذَ النَّعْل الخَلِق[7]، ونَبَّذْتَهُ: شُدِّد للكثرة، والمُنابذة: انتباذُ الفريقَيْن للحقِّ، يقول: نابَذْناهُم الحرْب، ونَبذْنا إليهم الحرْب على سَواء، ويُقال: جلس فلانٌ نَبْذَةً ونُبذَةً، أي: ناحيةً، وانتبذ فلانٌ ناحيةً؛ إذا انتحى ناحيةً، والمَنْبوذُ: الصَّبيُّ تُلْقيهِ أُمُّه في الطَّريق[8]، وقوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾، أي: لَيُطْرَحَنَّ، ولَيُلْقَيَنَّ[9].

4) ﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾: أصل (حطم) يدلُّ على كسر الشَّيء[10]، ومنهُ: الحَطْمُ، وهو كَسْرُ الشَّيء اليابس مثل الهَشْم ونحوه، ثُمَّ استُعمِل لكلّ كسر مُتَناهٍ، يقال: حَطَمْتُهُ حَطْمًا، أي: كسرته، فانحَطَمَ، وتَحَطَّمَ، والتَّحْطيمُ: التَّكسير، وحَطَمْتُهُ فانْحَطَم حَطْمًا، والحُطام:

(1) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهري، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات: (همز).
(2) الرّاغب، المفردات: (همز).
(3) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (همز).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لمز).
(5) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهري، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات: (لمز).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نبذ).
(7) الرّاغب، المفردات: (نبذ).
(8) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهري، الصِّحاح: (نبذ).
(9) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 530، والقرطبيُّ، الجامع في أحكام القرآن: 20/ 184.
(10) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حطم).

ما تكَسَّر مِن ذَلِك، وأصابتهم حَطْمَةٌ، أي: سَنَةٌ وجدبٌ، وسُمِّيت الجحيمُ حُطَمَةً؛ لأنَّها تحطِم ما تَلقى، وقيل للأكولِ: حُطَمةً؛ تشبيهًا بالجحيم[1]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾، أي: في جهنَّم، والحُطَمَة مِن أسماء النّار، مثل: سقر، ولظى، سُمِّيت (حُطَمَة)؛ لأنَّها تحطم العظام، وتَكْسِرُها[2].

5) ﴿مُّؤۡصَدَةٌ﴾: أصل (وصد) يدلُّ على ضمّ شيء إلى شيء[3]، ومنه الوَصيدَةُ، وهي حُجْرَةٌ تجعل للمال في الجبل، يقال: أوْصَدْتُ البابَ، وآصَدْتُهُ، أي: أطبقتُه، وأحكمتُه، ومعنى مؤصَدَة، أي: مُطْبَقَةٌ عليهم، وآصَدْتُ البابَ وأوْصَدْتُه؛ إذا أغلقْتَه، والوَصيدُ النَّبات المُتقارب الأصول، والوصيد أيضًا الفِناء، ويقال أيضًا: الأصيد[4]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ﴾، أي: مُطْبَقَةٌ مُغْلَقة[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

طعنُ النّاس واغتيابُهم بسبب جمع المال عاقبتُه دخول النّار التي هي شرٌّ وبالٍ وأسوأ مآلٍ

يُشير النَّظم القرآنيُّ - في مستهلِّ هذه السّورة الكريمة - إلى بيانِ ما أعدَّه المولى ﷻ مِن الهلاك والعذاب الشَّديد، المتمثِّل في هذا الوادي مِن القيْح والدَّم الذي جعله في جهنَّم لكلِّ طعّان مغتاب للنّاس؛ بسبَبِ حِرْصِه في الدُّنيا على جمع المال وإحصاء عدده، مِن غير أن ينفق منه في سبيل الله تَعالى، أو يعرف لله سُبحانَهُ فيه حقَّه؛ ظنًّا منه أنَّ هذا المال الذي بَخِل به، وحرَصَ على إنمائه سيكون سببًا في بقائه وخلوده في دار الدُّنيا، إلّا أنَّ التَّعبير القرآنيَّ قد جاء بالرَّدع والزَّجر لمثل هذا النَّوع مِن النّاس، مبيِّنًا أنَّه سيُطرح في هذه النّار، التي مِن شأنها أن تحطِّم كلَّ ما يُلقَى فيها، والتي عظَّم الله

(1) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات: (حطم).
(2) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 530.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وصد).
(4) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات: (وصد).
(5) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 531، والنسفيُّ، مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل: 3/ 679.

مِن شأنها أيضًا بأسلوب الاستفهام المفيد للتَّعظيم والتَّهويل المجاب عنه، ببيان أنَّ هذه الحطمة هي نارُ الله تَعالى المشتعلةُ، التي مِن شدَّة حرِّها النَّفاذ مِن الأجسام إلى القلوب لإحراقها؛ لأنَّها محلُّ العقائد الفاسدة، والتي مِن صفاتها أنَّها مُطبَقَة مُغلَقَة عليهم بأبواب مُحْكَمَةٍ، قد شُدَّت بأوتاد مِن حديد بحيث لا يستطيعون الخروج منها، وأيضًا فإنَّهم موثوقون في سلاسلَ وأغلالٍ تُشَدُّ بها أيديهم وأرجلُهم بعد إطباق أبواب جهنَّم عليهم[1].

❁ الإيضاح اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

بلاغَةُ الاستفتاحِ بالوَعيد بالويل:

وعـيـد شـديـدٌ وتـهـديـد أكـيـدٌ لـكـلِّ هـمّـاز لمّـاز عنيدٍ

الويلُ: كلمةٌ تدلُّ على الذَّمّ والسُّخط، وهي لفظةٌ يُردِّدُها المكروبُ الذي يتَوَلْوَلُ، فيدعو بالوَيل، وأصلُ هذه الكلمة مِنْ قولِهم: ويْ لفلان، ثمَّ كثُرَ استعمالُها في كلام العربِ، فوُصِلت باللّام بعَدها، ويُروى أنَّ الويلَ وادٍ في جهنَّمَ[2]، ولا يصحُّ ثبوتُهُ مرفوعًا.

وهو هنا مبتدأ، وخبره: ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، وساغ الابتداءُ به مع كونه نكرة؛ لأنَّه دعاء على مَن يكثر مِن عيب النّاس والسُّخرية منهم بأنْ ينالَه الهلاكُ وسوءُ الحالِ، والدُّعاء هنا مستعمَل في الوعيد بالعقاب.

وفي الاستفتاحِ به ترهيبٌ مِن ارتكاب هذا الفعل الشَّنيع، وتشويقٌ للمتلقّي إلى معرفة مَن يكون له هذا العقاب، حتَّى إذا عَلِمَهُ؛ تمكَّن في نفسه، وازداد نفورًا منه[3].

غرَضُ تنكير لفظ ﴿وَيْلٌ﴾:

ويلٌ عظيمٌ وشرٌّ جسيمٌ لكلِّ معتدٍ أثيم

الوَيْلُ: كلمةٌ تَجمع معاني الشَّرِّ والحُزنِ[4]، وقد جاء تنكيره للتَّهويل مِن شأن العقاب، الذي يناله مَن يلمز النّاس، ويغتابهم،

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 616 - 625، والهرريُّ، الحدائق: 32/ 311 - 321.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 283.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 198، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 536.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 5/ 521.

أي: هلاكٌ عظيمٌ جدًّا[1]، فهو عقاب شديد عظيم لا يعلم كُنهَه إلّا اللّه ﷻ[2].

نوعُ اللّام ودلالتُها في قوله: ﴿لِّكُلِّ﴾:

لمزوا البريء وسحقوه، فاختصّوا بالهلاك واستحقّوه

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاختصاص[3]، وهو بهذا المعنى في قوله: ﴿لِّكُلِّ﴾؛ إذ يفيد الاختصاص والاستحقاق، فهذا الوعيد بالهلاك وسوء العاقبة يختصُّ بمَن اتَّخذوا هَمْزَ المسلمين ولَمْزَهم ديدنًا لهم[4]، وفيه ما فيه مِن التَّخويف والتَّهديد.

غرض استعمال لفظ العموم (كُل) دون أن يقال: (ويل للهامزين اللّامزين):

لكلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ وعيد مخصوص، غير مخفَّف ولا منقوص

قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أمرٌ كُلّيٌّ، اشتمَلَ على أداةٍ دالَّةٍ على العموم؛ وذلك يُفيدُ أنَّ كلَّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قد وُجِّهَ له الوعيد والتَّهديد بالعذابِ الأليم، ويُروى أنَّ لفظ (ويل) يُرادُ به وادٍ مِن وديان جهنَّم، يقال له: وادي ويل، ويُروى في الحديث: «الوَيْلُ وادٍ في جَهَنَّمَ يَهْوي فيهِ الكافِرُ أَرْبَعينَ خَريفًا قَبْلَ أنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ»[5]، ولا يصحُّ.

وفي التَّعبير بلفظ العموم (كُلّ) في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ فضلُ معنى ليس في (ويل للهمّازين اللَّمّازين)؛ ذلك أنَّ إدراج لفظ العموم يدلُّ على أنَّ كلَّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ له ويل خاصٌّ به، لا أنَّ مجموع الهمّازين اللَّمّازين يجمعُهم ويل واحد.

وفائدة هذا تحقيقُ العدالة في الجزاء، فليس الذي كان يهمز، ويلمز أشرف الخلق وخليلَ الحقِّ رسولنا محمَّدًا ﷺ، كالذي يهمز، ويلمز غيره، وليس الذي يهمز، ويلمز جماعة كالذي يهمز، ويلمز فردًا، فكان لكلٍّ ما يستحقُّه مِن العقاب.

---

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 22/ 243.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 283.

(3) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 479، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 64.

(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 536، ومحمد الهلال، تفسير القرآن الثَّري الجامع: 30/ 484.

(5) رواه الترمذي في جامعه، برقم: (3164)، وقال: "هذا حديث غريبٌ"، وهو في ضعيف الجامع الصغير، برقم: (6148).

بلاغة التَّعبير بصيغة (فُعَلَة):

التَّعبير بقوله: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ يقتضي المبالغة، ويدلُّ على أنَّ تلك الصِّفاتِ القبيحةَ صارت عادة متأصِّلة في صاحبها وسجيَّة فيه؛ وذلك لأنَّ اللَّفظ الذي بزِنَةِ (فُعَلة) يؤتَى به؛ للدَّلالة على أنَّ الموصوف به ديدنُه ودأبُه الإتيانُ بهذا الوصف، ومنه قولهم: فلان ضُحَكة؛ إذا كان يُكثِر مِن الضَّحِك، ولُعَنة؛ إذا كان يُكثِر مِن اللَّعن[1].

الدَّلالة على المبالغة والسَّجيَّة، والدَّأب على طعن الأشخاص البريَّة

توجيهُ تخصيص الهُمَزَة اللُّمَزَة بالذِّكر:

جاء تخصيص الهُمَزَة اللُّمَزَة بالوعيد في هذه السّورة الكريمة؛ لأنَّ الله تعالى لمّا بيَّن النّاجين مِن قِسمَي الإنسان في سورة العصر، وختم بالصَّبر؛ حصل تمام التَّشَوُّف إلى أوصاف الهالكين، فقال مبيِّنًا لأضلِّهم وأشقاهم الذي الصَّبرُ على أذاه في غاية الشِّدَّة؛ ليكون ما أُعِدَّ له مِن العذاب مسلاة للصّابر: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[2].

من عادات القرآنِ الجمعُ بين ثواب المتَّقين وعقاب المجرمين

ثمَّ إنَّ فيه لطيفةً أُخرى، وهي أنَّ آخِر سورة العصر ذُكِر فيه صفة المؤمنين المصلحين، وهم الذين حملوا همَّ الدَّعوة إلى الحقِّ والهدى، وإعادة العاصين إلى الصِّراط المستقيم، فتواصَوا فيما بينهم بهذا، فأحبّوا الخير والصَّلاح لغيرهم كما أحبّوه لأنفسهم، وتواضعوا لغيرهم، وخفضوا لهم الجناح، وصبروا على ما يلاقون منهم في سبيل الدَّعوة، فجاءت سورة الهُمَزة لتبيّن نقيض هذه الفئة، وهم الذين أبغضوا النّاس، وتكبَّروا عليهم، وأرادوا لهم الخسارة، وبغوا لهم العيب.

فجاءت السّورتان على منهاج القرآن وعادته في الجمع بين التَّرهيب والتَّرغيب.

---

(1) الزَّمخشريُّ، الكشاف: 4/ 795، وطنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 505.

(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 22/ 243.

نكتة اقتران الهُمَزَة باللُّمَزَة:

شـنـاعَـةُ جـرم مَـــن جـمـع الـسَّـوءَتـين، وجمال الإيقاع بين اللَّفظتَيْن

جاء اقتران الهُمَزَة باللُّمَزَة؛ ليشمل الوعيدُ مَن يعيب الآخَرين عيبًا خفيًّا، ويسخر منهم خُفية وفي غَيبتهم، وكذلك مَن يدأب على مواجهتهم بكلمة السّوء تحقيرًا لهم وغضًّا مِن شأنهم، وهذا يُؤكِّد حرمة السُّخرية مِن المسلم والخوض في عرضه والانتقاص منه حاضرًا أو غائبًا، وأيضًا فإنَّ الكلمتين ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ بينهما جناس غير تامٍّ، وهو هنا جناسٌ لاحِقٌ، وهو يُحدث جرسًا يسعد الآذان، ويركّز انتباه المتلقّي لمعرفة الفرق الدَّلاليّ بينهما[1].

ثُمَّ إنَّ هذا الاقتران يُشعِر بمدى شناعة هذا الجرم الذي جمع السَّوءَتين كلتيْهما.

علَّة ترك عطف اللُّمزة على الهمزة:

وصـــفـــان ذميمان، ومِن طبيعة واحدة خبيثةٍ ينبَعان

جاء نظم لفظتي ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ دون عطف؛ لأنَّهما وصفان لموصوف واحد، وهو الشَّخص الذي يعتاد انتقاصَ النّاسِ والهُزْءَ بهم بالكلام أو الإشارة، خُفيةً ومواجَهَةً، مبالغةً في تشنيعه؛ إذِ ارتكب الجريمتين النَّكراويْن معًا، ولم يكتفِ بإحداهما.

والصِّفات إذا كانت لموصوف واحد؛ فإنَّه يغلب عدم الوصل بينها بحرف العطف لقوَّة التَّرابط بينها، وللدَّلالة على كمال الاتِّصاف بها جميعًا، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: 23].

فغايةُ الهمز واللَّمز واحدة؛ وهي غمْطُ النّاس والحطُّ مِنْ أقدارِهم، وإنْ كان الهمزُ من شأنِهِ أن يكون علَنًا، ومِنْ شأنِ اللَّمز

(1) الشَّعراويُّ، الخواطر الإيمانيَّة: 9/ 5211، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/ 3339، وبنت الشّاطئ، التَّفسير البيانيُّ للقرآن الكريم: 2/ 170.

أن يكونَ سرًّا مخفيًّا، ومَن كان ديدَنُه الهمزَ؛ كان اللَّمز منه كذلكَ، والعكس بالعكسِ؛ إذ يصدُرانِ مِنْ طبعٍ واحدٍ[1].

علَّة فصلِ قولِه تَعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ عن سابِقِه:

فُصِل قولهُ تَعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ عن سابقه؛ لِما بينَهُما مِن كمال الاتِّصال أو شبهه؛ إذ إنَّ قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ﴾ يجوز أن يكون في موضع جرٍّ على البدل مِن (كُلٍّ)، كأنَّه قيل: ويلٌ للذي جَمَعَ، وأن يكون في موضع نصب على الذَّمّ على إضمار فعل (أعني)، وأن يكون في موضع رفعٍ على إضمار مبتدأ، أي: هو الذي[2].

الفصلُ لكمال الاتِّصال أو شبه كمال الاتِّصال

فعلى الأوَّل يكون الفصلُ لأجل كمال الاتِّصال بين الجملتين، وعلى الثّاني والثّالث يكون الفصلُ لشِبْهِ كمال الاتِّصال بينَهُما، فالثّانية مستأنَفَة استئنافًا بيانيًّا؛ إذ إنَّها في موقع جوابٍ عَن سُؤالٍ تقديرُهُ: مَن هو؟.

بلاغةُ التَّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ﴾:

وصف الله ﷻ الهُمَزة اللُّمزة بهذا الوصف؛ لأنَّه بمنزلةِ السَّبب والعلَّة في صدورِ الهمز واللَّمز، وهو إعجابه بما جمع مِن مالٍ، فظنَّ أنَّ لَهُ فضلًا بسببِ ذلك، فنتجَ عَنْهُ استنقاصُهُ غيرَهُ[3].

بيان السَّبب والعلَّة، مِن باب إتْباع الحكم بالأدلَّة

فأكثر مَنْ يعيبُ النّاسَ على وجهِ الهمزِ واللَّمْزِ هو أحرصُهم على جَمْعِ المال، بحيث يكون جمعُهُ المالَ هو أكبرُ همّه في الدُّنيا.

ثُمَّ إنَّه ليسهُلَ له هذا الجَمْعُ، ويخلو له ميدان الكسب، يحارب النّاس بكلِّ ما يتأتّى لهُ مِنْ سلاحٍ، فلا يدع إنسانًا إلّا طعنه همزًا ولمزًا، ثُمَّ هو - مع جمْعِه المالَ - حريصٌ على دفعِ كلِّ ما يُهدِّدُ مالَهُ ممّا يظنُّهُ، أو يتوهَّمُهُ، فهو مِنْ شدَّة حرصِهِ على ما جمَعَهُ يتوهَّمُ

(1) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1671.
(2) العكبريُّ، التِّبيان: 2/ 1303، والمنتَجَب الهمذانيُّ، الكتاب الفريد: 6/ 459 - 460.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 284.

كلَّ النّاسِ سُرّاقًا يريدونَ نهبَ مالِهِ، ولذا يرميهِم طعنًا فيهم كأنَّهم متلبِّسون بسرقةِ مالِهِ الذي جمَعَهُ[1].

غرَضُ إفراد الاسم الموصول دون جَمْعِه لمراعاة المجموع المستفاد مِن (كُلّ):

عـمـومُ الوعيد لـكـلِّ هـمّـاز لمّـاز عنيدٍ

لفظةُ (كلّ) تُشيرُ إلى أنَّ المتوعَّدين بهذا الوعيدِ الشَّديدِ جماعةٌ، وهم الذين كان ديدَنُهم همزَ النّاسِ ولَمْزَهُم[2].

وفي إفراد الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ دون جمعه دلالَةٌ على أنَّ الوعيد بالعقاب الشَّديد يصدُقُ على أيِّ شخصٍ اتَّصف بهذه الصِّفات القبيحة، كلٌّ بحسبه، وليس ذلك خاصًّا بشخص معيَّن أو جماعة معيَّنة.

نكتَةُ استعمال مفردة ﴿جَمَعَ﴾:

الـدَّلالـة على شـدَّة الحرص والاكـتـنـاز، وصـرف المعنى إلى الحقيقة دون المجاز

أصل الجمع يدلُّ على تَضامّ الشَّيء[3]، فالجمع: ضمُّ شيءٍ بتقريب بعضِه مِن بعض، تقولُ: جمعتُه، فاجْتَمَع[4]، ومعناه المحوريُّ: تَضامُّ أشياءَ متجانسةٍ كثيرة على وجهِ التَّلاقي أو التَّلاحُمِ أو التَّراكُم[5].

وعلى هذا؛ فالتَّعبير بمفردة ﴿جَمَعَ﴾ فيه دلالة على شدَّة الحرص على المال واكتنازه، وفيه إشارة كذلك إلى الوَلَع بتقسيم هذا المال بحسب أصنافه، فالذَّهب مع الذَّهب، والفِضَّة مع الفِضَّة، والماشية مع الماشية... إلخ، ممّا يدلُّ على تمكُّن حُبِّ المال مِنْ قَلْبِه، ومَن كانت هذه حالَه؛ نَسِيَ الآخِرة، وكان مقياسُه للحكم على النّاس هو الغِنَى والفقر لا غير.

توجيهُ القراءات المتواترة في فعل ﴿جَمَعَ﴾:

الزِّيادة في المبنى زيادةٌ في المعنى

قرأ نافِعٌ، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ورَوَيْسٌ عن يعقوبَ: ﴿جَمَعَ﴾ مخفَّفًا، وقرأ باقي العشرةِ: ﴿جَمَّعَ﴾ بالتَّشديد[6].

(1) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1671.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 536.
(3) ابن فارس، المقاييس: (جمع).
(4) الرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات: (جمع).
(5) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جمع).
(6) أبو عليٍّ الفارسيُّ، الحُجَّة: 6/ 441، وابن الجزريّ، النَّشر: 2/ 403.

والمعنى في ﴿جَمَعَ﴾ المخفّف و﴿جَمَّعَ﴾ المشدّد متقارِب، والفرق بينَهُما أنَّ ﴿جَمَّعَ﴾ بالتَّشديد يفيد أنَّه جَمَعَه مِن هاهنا وهاهنا، وأنَّه لم يجمعه في زَمَنٍ يسيرٍ، بل طالَ جَمْعُهُ المالَ، يقال: فلان يُجَمِّع الأموال، أي: يَجْمَعُها مِن هاهنا وهاهنا، بخلافِ ﴿جَمَعَ﴾ بالتَّخفيف؛ فإنَّهُ لا يقتضي ذلك[1].

نكتَةُ تنكيرِ لَفْظِ ﴿مَالَهُۥٓ﴾:

جـوازُ الحَـمْـلِ على التَّكثير وكذا على التَّحقير

جاءت كلمة ﴿مَالَهُۥٓ﴾ نكرةً؛ لإرادَةِ التَّفخيمِ والتَّكثيرِ، وهو موافق لقولِه تعالَى: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾[2]، والقرائن في هذا الموضع تُفيدُ هذا المعنى وتُقوّيه.

ويجوزُ أن يكون التَّنكيرُ مرادًا به التَّقليلُ والتَّحقيرُ بالنَّظر إلى أنَّ ذلكَ عند اللّه تعالى أقلُّ وأحقر شيءٍ[3]، وذلك أنَّ مالَ الإنسانِ الواحد بالنِّسبة إلى مال كلِّ الدُّنيا يسيرٌ حقيرٌ، فكيف يليق به مع هذا أن يفتخر بذلك الحقيرِ[4]؟.

نكتَةُ عدَمِ إضافة المال للضَّمير، فلم يقل: (ماله):

لـم يـبـالِ بـأيِّ طـريـق جَـمَـع المالَ، فما أشدَّه من ضلالٍ!

أوثر التَّعبير بـ ﴿مَالَهُۥٓ﴾ دون إضافته لضمير الغائب العائد على الهُمَزَةِ اللُّمَزَة على نسَق: (جمع ماله)؛ لأنَّ في عدم الإضافة إشارةً إلى أنَّ هذا المال الذي جمعه ليس كلُّه مِن حقّه، فمنه ما أخذه بحقّه، ومنه ما أخذه بغير حقّه.

وأيضًا لِما في التَّنكير مِن معنى التَّحقير، وليس هذا متحقّقًا في الإضافة.

أمّا لو قيل في غير القرآن: (جمع ماله)؛ لتوُهِّم أنَّ هذا المال

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 284.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 198.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 461.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 284.

الذي جمعه هو كلُّه حقُّه، وأنَّه جمع ماله الذي يخصُّه دون أخذ شيء مِن مال غيره، أو أنَّ هذا المال كان له قبل أن يجمَعَهُ، فمِن ثَمَّ لا يُذَمُّ، وهذا لا يتَّفق مع السِّياق.

بلاغة التَّصوير للمشهد النَّفسيّ في عطف (عَدَّدَهُ) على ﴿جَمَعَ﴾:

استمتاعٌ بالإحصاء والعَدّ، وبيان الطُّغيانِ ومجاوزة الحَدّ

يُقال: عدَّد المالَ؛ إذا جَمَعَ بعضَه إلى بعض في صفوف متراصَّة، وفي أنواعٍ مختلفةٍ، كلُّ صِنْفٍ منها يأخذ موضعًا خاصًّا به، فمِنْها: الذَّهَبُ والفضَّة والجواهِرُ واللَّآلئُ، والأنعام والزُّروع، والرّياض، والدّور والقصور إلى غير ذلك ممّا يُعَدُّ مالًا[1].

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾، أي: كرَّر إحصاءه بالعَدّ مرةً بعد أخرى، فهو يتلَذَّذُ بعَدّ ما يَملِكهُ مِن مال، بل قد تكون لذَّته بعدّه وإحصائه ومعرفة مقدارِه أكثرَ مِن استمتاعه ولذَّته بالانتفاع به.

نكتَةُ استعمالِ مفردة (عَدَّدَهُ) دون (أحصاه):

العَدُّ أعمُّ مِن الإحصاء؛ إذ ليس فيه شرطُ الاستقصاءِ

العين والدّال أصلٌ صحيح واحد لا يخلو مِن العَدّ الذي هو الإحصاء، ومِن الإعداد الذي هو تهيئة الشَّيء، وإلى هذيْن المعنيَيْن ترجع فروعُ الباب كلُّها، فالعَدُّ: إحصاء الشَّيء، والعُدَّةُ: ما أُعِدَّ لأمْرٍ يحدُث، يُقال: أعدَدتُ الشَّيءَ أُعِدُّه إعدادًا[2]، والعديد: الكثرة[3].

أمّا الحاء والصّاد والحرف المعتلُّ؛ فيدلُّ على تتبُّع عَدّ أجزاء الشَّيء واستقصاءِ ذلكَ، ومنه: الإحصاء، وهو حساب الأشياء على وجهِ الاستقصاءِ والدِّقَّة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجنّ: 28]، فهو سبحانه قد استَقْصَى كلَّ شيء وعَدَّه؛ لأنَّه خالق كُلِّ شيءٍ، ونظيرُ ذلك قوله تَعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: 18]، والمعنى: لا تستطيعون أن تَستَقْصوا عَدَّها، وتستَوعِبوهُ[4].

(1) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1672.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عدد).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (عدد).
(4) هادي حمّودي، موسوعة معاني ألفاظ القرآن الكريم: 1/ 289.

فمِمّا سبق يتبيَّن أنَّ في العَدِّ إحصاءً وكثرةً وتهيئةً وتجهيزًا، وفي الإحصاء استقصاء للعدِّ مع إطاقة[1]، وعليه فالعَدُّ إحصاء وزيادة، والإحصاء لا يُحصَرُ معناهُ على عدِّ الشَّيء فحسب، بل إحصاءُ الشَّيء: عدّه وتحصيله والإحاطة به، ومعرفة تفاصيلِه[2].

ولمّا كان مرادُ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ ومقصودُه، ذَمَّ إمساك المال عن سبيل الخيراتِ والطّاعات، كما قال الله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [ق: 25]، وقال سُبحانَهُ: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: 18]"[3]، ولمّا كان للمفسّرين في معنى الآية قولان: أحدُهما: أحصى عَدَدَه، والتَّشديد فيه لكثرة المعدود، والثّاني: أعَدَّه لِما يكفيه في السِّنين، وهو مأخوذ مِن العُدَّة، وهي الذَّخيرة تُعَدُّ لحوادث الدَّهر ومصائبه[4]، لمّا كان ذلك كذلك؛ كان التَّعبير بالعَدِّ في هذا الموضع أبلغ مِن التَّعبير بالإحصاء مِن وجوه:

أحدُها: أنَّ في العَدِّ دلالةً على الكثرة، ولا سيَّما في تشديد (عَدَّدَهُ).

والثّاني: أنَّ التَّعبير بـ (عَدَّدَهُ) يصحُّ أن يدلَّ على العَدِّ والإعداد معًا.

وكلُّ هذه الأوجه تتضافر في تصوير حالِ الحِرْص الشَّديد على جمع المال واكتنازه، وشدَّة التَّعلُّق به.

معنى التَّضعيفِ وبلاغَتُهُ في ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾:

معنى: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أكثر مِن عَدّه، أي: حسابه لشدَّة ولَعِه بجَمعِه، فالتَّضعيف للمبالَغة في (عَدَّ) ومعاودته، وقد دلَّ تضعيف ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ على معنى تكلُّف جمعِه بطريق الكناية؛ لأنَّه لا يكرِّر عدَّه إلّا ليزيد

التَّضعيف للمبالغةِ في تصوير نهمته، وإكثار العدِّ ومعاودته

(1) ابن فارس، المقاييس: (عدد - حصو).
(2) عبد الجبّار فتحي زيدان، الفروق اللُّغويَّة في القرآن الكريم، ص: 92.
(3) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 183.
(4) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 530، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 489، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 284، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 461.

جَمعَه، ويجوز أن يكون ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ بمعنى أكثرَ إعدادَه، أي: إعدادَ أنواعِه، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: 14][1].

بلاغة الموقع الإعرابيّ لجملة ﴿يَحْسَبُ﴾:

بين الحاليَّة والاستئناف؛ لإفادة التَّهكُّم بالهُمَزَة والاستخفاف

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، أي: يعملُ عملَ مَن يظنُّ أنَّ مالَه يُبقيه حيًّا، أو أنَّ هذا المال قد طَوَّلَ أملَه، ومَنّاه الأمانيَّ البعيدةَ حتَّى أصبح لفرطِ غفلته وطولِ أمله يحسبُ أنَّ المالَ تَركهُ خالدًا في الدُّنيا لا يموتُ[2].

فهذه الجملة الكريمة حالٌ مِن ﴿هُمَزَةٍ﴾، فيكون المرادُ التَّهكُّمَ عليه في حرصه على جمع المال وتعداده؛ إذ لا يوجد مَن يظنُّ أنَّ مالَهُ يُصيِّره مخلَّدًا، فيكون الكلام واردًا على وجهِ التَّمثيل، ويجوز أن تكون الجملةُ الكريمةُ حالًا مرادًا بها التَّشبيه، وهو تشبيه بليغ، ومن الجائزِ أيضًا أن تكون الجملة مستأنَفةً، والخبر فيها مستعمَلًا في مَعْنى الإنكار، أو هوَ على تقدير هَمْزة استفهامٍ محذوفةٍ، والمرادُ بذلك التَّهكُّم أو التَّعجيب[3].

نكتة استعمال ﴿يَحْسَبُ﴾ دون مرادفاتِها:

في التَّعبير بالحسبان ذمٌّ لهم، وبيانٌ لسوء تقديرهم

أوثر التَّعبير بـ﴿يَحْسَبُ﴾ دون مرادفاته، كـ(يظنُّ)؛ لأنَّ الظَّنَّ: اسم لِما يحصل عن أمارة، ومتى قويت؛ أدَّت إلى العِلم، فهو إدراك الذِّهن الشَّيءَ مع ترجُّحه[4]، أمّا الحِسبان؛ فأصله مِن الحساب، تقول: أحسَبه قد مات، كما تقول: أعُدُّه قد مات[5]، وأيضًا فإنَّ الحِسبان معناه: "أن يحكم لأحد النَّقيضين مِن غير أن يخطر الآخَر

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 538.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 198.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 538 - 539.
(4) 2) الرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات: (ظنن)، ومجمع اللُّغة العربية، المعجم الوسيط: (ظنن).
(5) العسكريُّ والجزائري، معجم الفروق اللُّغوية، ص: 343.

بباله، فيحسِبه، ويعقد عليه الإصبع، ويكون بعرض أن يعتريَه فيه شكٌّ، ويقارب ذلك الظَّنَّ، لكنَّ الظَّنَّ أن يخطر النَّقيضان بباله، فيغلِّب أحدهما على الآخَر"[1].

وعلى هذا فالحِسبان قائم على الحساب والنَّظر العقليّ المؤدِّيَيْن إلى الحكم لأحد النَّقيضَيْن دون خُطور الآخَر في البال، بخلاف الظَّنّ الذي يدخل الذِّهن، ويلابسه لأدنى سبب، ويلاحَظ أنَّ (حسِب) في كلِّ شواهدها القرآنيَّة قد استُعملت فيما كان مخالفًا للحقيقة والواقع، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ [النَّمل: 44][2]، وفي هذه الآية جاء التَّعبير بـ ﴿يَحْسَبُ﴾؛ للدَّلالة على التَّوهُّم الذي يُخطئ حقيقة التَّقدير في حسابه أنَّ مالَهُ أخلدَه[3]، والمعنى: (يظنُّ ظنًّا ضعيفًا توهُّميًّا)، دلَّ على هذا استقراءُ استعمالِ هذه المادَّة في القرآن، فمادَّة (حَسِبَ) لم تُستَعمَل في القرآن إلّا بمعنى الظَّنّ التَّوهُّميّ.

فهو توهُّم قائم على حساب فاسد، ونظر سقيم، يدلُّ على ضعف عقله، وقصور نظره، وضيق عَطَنه.

ويَكْشِفُ أيضًا أوهامَ هذا الهُمَزةِ اللُّمَزَةِ؛ وذلك أنَّه على توهُّمٍ مِن أنَّ هذا المال الذي جمعه سيُخلِّده، ويُطيلُ له أمَدَ الحياة، وأنَّه بقدر ما يستكثر مِن المال يكون له مِن البقاءِ في هذه الحياةِ بمقدارِ ذلك، وهكذا شأن الحريصِ على المال الذي اتَّجه جميعُ همِّه إلى جَمعِه، فلا يذكرون موتًا أبدًا، ولا يَغشَونَ موضعًا يذكِّرهم به، ولا يُصغونَ إلى حديث يُذكَر فيه؛ وذلك لأنَّ الموت - في نظرِهِم ووَهْمِهم - عدوٌّ قد أبعدوهُ، وقتلوه بأمانيِّهم الباطلة، واستراحوا منهُ - بزعمهم - فما لهم والكلام عنه[4]؟.

دلالة التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَحْسَبُ﴾:

التَّعبير بالمضارع ﴿يَحْسَبُ﴾ فيه دلالة على تجدُّد هذا الحِسبان منه، ممّا يدلُّ على استمرار غفلته عن الحقِّ والهدى.

وفيه أيضًا استحضارٌ لصورة هذا الغافل السّاهي اللّاهي الذي غرَّته الدُّنيا، وافتُتِن بماله، ممّا يُنَفِّر المتلقِّي مِن حالِه القبيحة.

(1) الرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات: (حسب).
(2) عبد الجبّار فتحي زيدان، الفروق اللُّغوية في القرآن، ص: 477.
(3) بنت الشّاطئ، التَّفسير البيانيُّ للقرآن الكريم: 2/ 173.
(4) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1673.

الـدَّلالـة على الاسـتـمـرار، واسـتـجـلاب الـصّـورة بالاستحضار

وأيضًا فإنَّ هذه المضارعيَّة تتناغم مع السِّياق، فهي تشير إلى تجدُّد الحِسبان مع زيادة المال المعدود مرَّة بعد مرَّة، كما دلَّ عليه تشديد ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾.

دلالة استعمال ﴿أَنَّ﴾:

تـأكـيـد شـدَّة الـتَّـعـلُّق بالمال وحبِّه، ونسيان لقاء ربِّه

تُستَعمَل ﴿أَنَّ﴾ لتأكيد مضمون الجملة، وتنوب منابَ تكرير الجملة مرَّتين، إلّا أنَّه أوْجَزُ وأخصَر مع حصول الغرض مِن التَّأكيد[1].

ومِن هنا أوثِر التَّعبير بـ ﴿أَنَّ﴾؛ لتأكيد شدَّة التَّعلُّق بالمال والاغترار به، ممّا يدلُّ على سفاهة عقل هذا الهُمَزَة اللُّمَزَة، وشدَّة غفلته، فهو لفرط غروره واشتغاله بالجمع والتَّكاثر عمّا أمامه مِن قوارع الآخرة، يحسب أنَّ المال تَرَكَه خالدًا في الدُّنيا لا يموت[2].

دلالَةُ التَّعريف بالإضافَةِ في لَفْظِ ﴿مَالَهُۥٓ﴾:

جَـمْـعَ المـالَ مُكاثِرًا، وضمَّه إلـى نـفسه مُفاخِرًا

الإضافة في قوله تعالى: ﴿مَالَهُۥٓ﴾ إضافة معنويَّة (محضة) جاءت لإفادة التَّحقير مِن شأن هذا المال الذي دفع صاحبه للمَهالك؛ إذ "أغفله عن الموت، أو طوَّل أمَلَه حتَّى حَسِب أنَّه مخلَّد، فعَمِلَ عَمَلَ مَن لا يظنُّ الموت"[3].

والمقصود مِنْ ذلك ذمُّه على جَمْعِ المال، معَ إمساكِه وعدم إنفاقه في سبُل الخيرات والطّاعات[4].

وفي التَّعريف بالإضافة دون أن يقال: (يحسب أنَّ المال أخلده) دلالة على شدَّة إعجابه بما جمع مِن مال، وظنِّه أنَّ به رِفعَتَه وتميُّزَه عن غيره، وأيضًا فإنَّ فيه دلالة على شدَّة الاعتداد والتَّعلُّق بهذا المال الذي نسبه إلى نفسه مفاخِرًا ومكاثِرًا.

(1) ابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 526.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 198، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 461.
(3) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 337.
(4) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 5/ 603.

بلاغَةُ الإيجازِ بلَفْظِ ﴿مَالَهُۥٓ﴾ لم يقل: (يحسب أنَّ المجموع):

المال: هوَ كُلُّ ما يُرْغَبُ في تملُّكِهِ ممّا فيه وجهٌ مِنْ وجوهِ النَّفعِ، فلفظ (المال) يشمل كلَّ ما يملكه الإنسان مِن متاع الدُّنيا، مهما تعدَّدت أنواعُه، مِن كنوز، وقصور، وأرض، وماشية، وعبيد، وغير ذلك ممّا يُتَمَوَّل[1]، ففي التَّعبير بـ ﴿مَالَهُۥٓ﴾ إيجازٌ عن ذِكْرِ غيرِه.

المال أبدًا مائل، وهو لا محالة زائل

وأيضًا فإنَّ المالَ مشتقٌّ مِن (مالَ يَميلُ)، وسُمِّي بذلك لكونه مائلًا أبدًا وزائلًا[2]، فالتَّعبير به في هذا السِّياق يشير إلى أنَّ الحقيقة خلاف ما حسِبه هذا المغرور، فالمال ليس سببًا في الخلود، بل هو عَرَضٌ زائل.

بلاغَةُ الإظهارِ في مَقام الإضمارِ في ﴿مَالَهُۥٓ﴾:

في التَّعبير بقولِه تعالى: ﴿مَالَهُۥٓ﴾ إظهار في مقام الإضمارِ؛ إذ كان مقتضَى الظّاهر أن يقال: (يحسب أنَّه)، وفائدة هذا الإظهار هو زيادة التَّقرير[3]، وزيادة "التَّقريع والتَّوبيخ، أو هو تعريض بالعمل الصّالح، وأنَّه الذي يخلِّد صاحبه في الحياة الأبديَّة، لا المال"[4].

زيادةُ التَّقرير والتَّقريع، وتأكيدُ التَّوبيخ والتَّشنيع

بلاغَةُ استعمالِ مفردة الخلودِ دون البقاء:

مادَّة (خلد) تدُلُّ على الثَّبات والملازَمَة، فيُقال: خَلَدَ، بمعنى: أقام، وأخْلَدَ أيضًا، ومنه جَنَّةُ الخُلد، والخَوالِد: الجبال الرَّواسي الثَّوابت، والحجارة والصُّخور لطول بقائها، والخُلودُ: البقاء الدّائم، ضدُّ الفناء[5]، وأمّا البقاء؛ فهو: ثَبات الشَّيء على حاله الأولى[6]، فكلُّ خلودٍ بقاءٌ، وليس كلُّ بقاءٍ خلودًا.

الخلود أدلُّ على الملازَمَة أبدًا، فلا يُحصَى سنين عددًا

(1) العسكريُّ والجزائريّ، معجم الفروق اللُّغوية، ص: 472.
(2) الرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات: (ميل).
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 198، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 461.
(4) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 5/ 603.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلد).
(6) الرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات: (بقي)، ومجمع اللُّغة العربية، المعجم الوسيط: (بقي).

وعلى هذا فالتَّعبير بـ ﴿أَخۡلَدَهُۥ﴾ أنسب للسِّياق في الدَّلالة على الملازَمَة مِن (أبقاه)، الذي يحمل معنى التَّرْك، فلو قيل في غير القرآن: (يحسب أنَّ ماله أبقاه)، فقد يحتمل المعنى أنَّ ماله ذهب عنه، وخلَّفه، وهذا لا يتَّفق مع السِّياق.

ومِن خلال تتبُّع مواضع مجيء مفردة الخلود في القرآن الكريم؛ لوحِظَ أنَّ القرآن الكريم يستعمل الخلود بملحظ لا يتخلَّف، فهو يأتي دائمًا في سياق الحديث عن الآخِرة، إمّا خُلودًا في الجنَّة والنَّعيم ودار الخُلد، وإمّا خلودًا في العذاب والنّار.

أمّا حين يستعمله في الدُّنيا؛ فذلك على وجه النَّفي والإنكار أن يكون فيها خلود؛ إذْ هي دار فناء، ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ [الأنبياء: 34]، ومنها هذا الموضِعُ: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾، أي: يُضِلُّه الوهم ضلالًا بعيدًا، ويُعْميه عن حقيقة الدُّنيا الفانية التي يتهالَك على حُطامها[1].

فضلًا عمّا أفاده التَّعبير بالخلود مِن التَّمثيل؛ إذ إنَّ أخلده، وخلَّده بمعنًى واحدٍ، ومعناهُ: تركه خالدًا، أي: ماكثًا مُكثًا لا يتناهَى زمَنُهُ، أو ماكِثًا مكثًا متطاوِلًا جدًّا، وهذا الكلام على جِهَةِ الاستعارة التَّمثيليَّة، والمقصودُ: أنَّ المال كان سببًا في طول أمله وتَمَنّيه الأمانيَّ البعيدةَ، فهو يعمَل في هذه الدُّنيا - مِن تشييده البُنيانَ، وغَرسِ الأشجار، وغير ذلك - كَمَن يظنُّ أنَّ مالَه يُصيِّرهُ ماكثًا في هذه الحياةِ[2].

نكتَةُ التَّعبير بصيغة الماضي ﴿أَخۡلَدَهُۥ﴾ دون المُسْتَقْبَل:

تنزيلُ المستقبَل منزلةَ الماضي تهكُّمًا بمَن جمع المالَ واللَّمز كِلَيْهِما

عُبِّر بالفعل الماضي ﴿أَخۡلَدَهُۥ﴾؛ تنزيلًا للمستقبَل منزلة الماضي؛ إشارةً إلى تحقُّقه عنده، وذلك مبالغةً في التَّهكُّم به بأنَّه موقِن بأنَّ

(1) بنت الشّاطئ، التَّفسير البيانيُّ للقرآن الكريم: 2/ 173.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 461.

مالَه يُخلِّده في الدُّنيا، حتَّى كأنَّه قد حصل له هذا الإخلادُ، وثبَتَ، والهمزة في ﴿أَخْلَدَهُۥ﴾ يُرادُ بها التَّعدية، فمعنى: أخلدَهُ، جعله خالدًا[1].

أو للدَّلالة على أنَّه يظنّ مع كُلِّ زمن يتجَدَّد له في الدُّنيا أنَّ مالَهُ هو الذي جعلَهُ فيما مضى حتَّى لحظةِ الحاضر عزيزًا في قومِه مَكْفيَّ الحاجات، ذا مكانة عاليةٍ، له فيها أمرٌ ونهيٌ، ولا يقتضي ذلك البقاءَ الدّائم في المستقبلِ؛ إذْ لمْ يردِ التَّعبيرُ القرآنيُّ: (يحسَب أنَّ مالَهُ يُخْلِدُهُ).

توجيهُ حِسبان الخلود مع مخالفةِ الواقع القطعيّ له:

ظـنَّ لنفسه الخلودَ، وهذا وهمٌ في الضَّلالة بعيدٌ

الموت حقيقة لا ينكرها عاقل، وذلك منافٍ لحِسْبان الخلود في الدُّنيا؛ ولذا فإنَّ قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ يتوجَّه إلى أنَّه حاسبٌ ذلك حقيقةً لفرط غروره واشتغاله بالجمع والتَّكاثر، عمّا أمامه مِن قوارع الآخِرة، أو لزعمه أنَّ الحياة والسَّلامة عن الأمراض والآفات تدور على مراعاةِ الأسباب الظّاهرة، وأنَّ المالَ هو المحور لكرَّتها، والملك المطاع في مدينتها[2].

فالنّاس لا يشُكّون في الموتِ وتحقُّقه، ولكنَّهم في الواقعِ قد يعملون عَمَلَ مَن يظنُّ أنَّه يخلد في هذه الحياةِ الدُّنيا[3].

فالآية تشبيهٌ لحالِ الذين جَمَعوا المالَ بحالِ مَن يحسَبُ أنَّ المال يَقيهِم الموتَ، ويجعلهم خالدين؛ لأنَّ الخلودَ في الدُّنيا أقصى متمنّاهم؛ إذْ لا يُؤْمِنون بحياةٍ أُخرى خالدة، وفي هذا تهَكُّم بهم[4].

بلاغة الرَّدع المفاجئ بأداة ﴿كَلَّآ﴾:

ردعٌ وزجرٌ وإبطال، لمَن ظنَّ الخلود متحقِّقًا بكثرة المال

﴿كَلَّآ﴾: كلمةٌ دالَّةٌ على الرَّدعِ والزَّجرِ، وفيها دلالةٌ على إبطالِ قول القائلِ، وذلك ضدٌّ لفظِ (إي) حالَ الإثبات[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 539.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 461.
(3) الخازن، لباب التَّأويل: 4/ 469.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 539.
(5) الرّاغب الأصفهانيُّ: المفردات: (كلّا).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ﴾ هوَ ردعٌ لهُ وزجرٌ عن حِسبانه، والمعنى: ليس الأمر كما يحسَبُ أنَّ المال يُخْلِده[1].

فهذا إبطال لأنْ يكون المال مُخَلِّدًا له ولأمثاله، وزجرٌ عن التَّلبُّس بالحالِ الشَّنيعة، التي جعلتهم في حال مَن يحسب أنَّ المال يخلّد صاحبه، أو إبطال للحرص في جمع المال جمعًا يمنع به حقوق الله في المال مِن نفقات وزكاة[2].

ولمّا كان هذا الحِسبان لشدَّة وهْيِه وبيان ضعفه لا يحتاج إلى إقامة دليل على فساده؛ اكتفى البيان القرآنيُّ فيه بأداة الرَّدع الجامعة لكلِّ زجر: ﴿كَلَّا﴾[3].

علَّة فصلِ قولِهِ تَعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ عن سابقه:

من شأن الاستئناف البيانيّ أن يُفصَل عن سابقِهِ، وأن يُمَهِّد لِلاحِقه

قولهُ تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ استئنافٌ مبيّن لعلَّة الرَّدع، في جواب سؤالٍ مقدَّر؛ ذلك أنَّه لمّا أبطل حِسبان الخلود بأداة الزَّجر ﴿كَلَّا﴾، وكان معنى الزَّجر أنَّه ميّت لا محالة، كان كأنَّه قيل: فما الذي يُفعَل به بعد الموت؟ فجاء الجواب مبدوءًا بالقسَم الدّالّ على التَّوكيد: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾، أي: ليُطرَحَنَّ بعد موته في النّار التي من شأنها أن تُهَشِّم، وتُحَطِّم كلَّ ما طرح فيها، فيكون أخسرَ الخاسرين[4].

نوعُ اللّام ودلالتُها في قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾:

قسَم للتَّأكيد، وزيادة في التَّهديد

اللّام في قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ واقعة في جواب قسَم مَنْويٍّ، فالفعل مؤكَّد بقسَم مقدَّر، وبنون التَّوكيد الثَّقيلة، أي: واللّه ليُطرَحَنَّ بسبب تعاطيه للأفعال المذكورة في النّار التي شأنها أن تُحَطِّم، وتُكَسِّر كلَّ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 285.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 539.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 22/ 246.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 199، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 22/ 246.

ما يُلقى فيها، وأيضًا فإنَّ شأنَه كسرُ أعراضِ النّاس وجمعُ المال[1]، وفي القسَم تأكيدٌ لمعنى الإبطالِ والزَّجر في ﴿كَلَّاۖ﴾[2].

بلاغة القسَم المحذوف:

إيجاز واختصار، وتأكيد لسوء القرار

قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: جواب قسَم محذوف، والتَّقدير: وعِزَّتي، وجلالي، ونحو ذلك[3]، وقد دلَّ على هذا القسَمِ وجودُ اللّام الدّاخلة على فعل ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ ونون التَّوكيد التي باشرته، ففيه إيجاز بحذف القسَم مع التَّدليل عليه، مع حصول التَّوكيد المناسب للرَّدِّ على إنكار الهُمَزَة اللُّمَزَة لمصيره بلسان الحال أو المقال.

بلاغة استعمال مفردة النَّبذ:

في استعمال النَّبذ حين الإلقاء في النّار دلالةٌ على الإهانة والاحتقار

أصل النَّبذ يدلُّ على طرحٍ وإلقاء[4]، فالنَّبذ إلقاء الشَّيء وطرحه لقلَّة الاعتداد به، وأكثر استعماله في إلقاء ما يُكرَه، فيُقال عن ولد الزِّنى: منبوذٌ؛ اعتبارًا بمَن طرحه[5]، ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ [القصص: 40]، فقد شبَّههم؛ استحقارًا لهم بحصيات أخَذَهُنَّ آخِذٌ بكفّه، فطرحهُنَّ، وعلى هذا فقد آثر التَّعبير القرآنيُّ في هذا الموضع ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ دون (ليُلْقَيَنَّ)، أو (ليُطْرَحَنَّ)؛ لدلالة لفظ النَّبذ على الإهانة والتَّحقير في مقابلة ما ظنَّ الهامز اللّامز بنفسه مِن الكرامة[6]، فعامَلَه الله بخلاف حسبانه.

نكتة التَّعبير بالمضارع ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾:

توعُّد أكيد وإنْ طال الأجل، فلا يغترَّ جاهل بطول الأمل

جاء التَّعبير بصيغة المضارع؛ للدَّلالة على الاستقبال، فهذا النَّبذ لا يكون في الدُّنيا، إنَّما يكون في الآخِرة؛ وذلك لئلّا يغترَّ أحد مِن

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 199.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 285.
(3) الدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 724.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نبذ).
(5) الرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات: (نبذ).
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 285، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 540.

العُصاة بما هو فيه في الدُّنيا مِن النِّعمة، فيحسب أنَّ له كرامة عند ربِّه أوجبت له الخير في دنياه، ومثله في آخرته، وفيه إشارة أيضًا إلى إمهال الله تعالى للعاصين، وفتح باب التَّوبة أمامهم؛ إذا تابوا قبل انقضاء الأجل.

دلالة بناء فعل ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ للمفعول:

تهويل للفعل وتوكيد للجزاء، وتحقير للمفعول وازدراء

جاء بناء الفعل ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ للمفعول للتَّهويل، وتركيز الانتباه نحو الفعل نفسه، وتأكيد هوانهم واحتقارهم، وتحطُّمهم في النّار الشَّديدة يوم القيامة، هذا بالإضافة إلى العِلم بالفاعل، وهو الله تعالى أو ملائكته، ففيه إيجاز واختصار.

تعيين مرجع الضَّمير في قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾:

يُنبَذُ المغرورُ في النّار بماله، فلا يُنجيه مجموعُه مِن شرِّ مآله

الضَّمير في قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ يعود على الشَّخص الهُمَزَة اللُّمَزَة المغرور بماله، أي: ليُنبَذَنَّ هذا الهُمَزَة اللُّمَزَة المغرور بماله في نارٍ شديدة الاشتعال تُحَطِّم كلَّ ما يُلقَى فيها، وقُرِئَ (لَيُنْبَذانِّ)، أي: هو وماله، وقرئ: (لَيُنْبَذُنَّ) بضم الذّال، أي: هو وأنصارُه[1].

بلاغة استعمال حرف الظَّرفيَّة:

ينغمس الهمّاز في العذاب، ويوصَد عليه كلُّ باب

الأصل في معنى (في) أنَّه موضوع للدَّلالة على الظَّرفيَّة والوعاء، مكانيَّة أو زمانيَّة، حقيقيَّة أو مجازيَّة[2].

والتَّعبير بحرف الظَّرفيَّة في قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ يدلُّ على شدَّة انغماسهم في نار الحطمة واستقرارهم فيها، وأنَّها أحاطت بهم مِن كلِّ مكان إحاطة الظَّرف بما فيه، فلا يستطيعون منها فكاكًا، وما هم منها بمخرجين، وهذا وعيد أكيد بعذاب شديد.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 285، والعكبريُّ، التِّبيان: 2/ 1303، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 541.

(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 226، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 471، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 57.

براعة استعمال مفردة ﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾ مادَّة وصيغة:

المقابلة اللَّطيفة بين الجرم والعقوبة؛ ليُعلَم مَن هو شرٌّ مثوبة

كلمة ﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾ مشتقَّة مِن (الحَطْم)، وهو كسر الشَّيء مثل الهَشم ونحوه، ثُمَّ استُعمِل في كلِّ كسْرٍ مُتَناهٍ، و﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾ التي مِن شأنها أن تَكْسِر، وتَحْطِم كلَّ ما يُلقَى فيها[1].

وبناؤها على زِنَة (فُعَلَة) يدلُّ على ثبوت الوصف مع المبالغة فيه، أمّا الثُّبوت؛ فمستفاد مِن الاسميَّة، وأمّا المبالغة؛ فمستفادة مِن الصِّيغة الصَّرفيَّة.

وفي التَّعبير بصيغة (فُعَلَة) في ﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾ مقابَلَة لفظيَّة عاليَةُ البلاغة، فإنَّه لمّا وسَمَه بهذه السِّمة بصيغة دَلَّت على أنَّها راسخة فيه ومتمكِّنة منه، وهي: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾؛ أتبع المبالَغة المتكرِّرة في هذين الوصفين بوعيده بالنّار التي سمّاها ﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾؛ لِما يكابد فيها مِن هول، ولِما يلقى فيها مِن عذاب، واختار في تعيينها صيغة مبالغة على وزن الصِّيغة التي ضمَّنها الذَّنب المقترَف حتَّى يحصُلَ التَّعادُلُ بين الذَّنب والجزاء، فكأنَّه تعالى يقول: إنْ كنتَ هُمَزَةً لُمَزَةً؛ فوراءك الحُطَمَة تحطم كلَّ ما يُلقَى فيها[2].

فهذا مِن حيث مناسبة اللَّفظة لسياقها مِن جهة صيغتها، وأمّا مِن حيث مادَّتها؛ فتأتي مناسبتها للسِّياق مِن وجهيْن:

أحدُهما: أنَّه لمّا كان الهامز يكسر عينَ مَن يهمزُه؛ ليضع قدرَه، فيلقيه في الحضيض؛ قيل له: وراءك الحُطَمَة، وفي الحطم كسرٌ، فالحُطَمَة تكسِرك، وتُلقيك في حضيضِ جهنَّم.

فكما أنَّ الهمز فيه معنى الكسر مِن الأعراض؛ فالحَطم فيه

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حطم).

(2) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 795، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 286، ومحمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 15/ 405.

معنى الكسر مِن الأضلاع، والنَّبذ في ﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾ فيه استحقار واستقلال؛ لأنَّه كان يزعم أنَّه مِن أهل الكرامة(1).

والآخَر: أنَّ الهمّاز اللَّمّاز يأكل لحم النّاس، والحُطَمَة أيضًا اسمٌ للنّار مِن حيث إنَّها تأكل الجِلد واللَّحم(2).

نوع تعريف لفظ ﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾:

تعريف لما عُهِدَ في الأذهان، مِن اصطلاحات القرآن

الظّاهر أنَّ اللّام في ﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾ دالَّةٌ على العَهْدِ؛ وذلكَ لأنَّه اعتبر هذا الوصف علمًا بالغَلَبَة على شيءٍ يَحْطِمُ، والمرادُ بذلك نارُ جهنَّم، وإطلاق هذا الوصفِ على جهنَّم مِن اصطلاحاتِ القرآن الكريم، وليس في كلام العرب ذلكَ(3).

نوع الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾:

بين الاستئناف والحالية لتهويل مصير شرّ البريّة

الواو في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ واو الاستئناف(4)، وجملة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ استئناف للتَّهويل مِن شأن هذه النّار، أو هي في موضع حالٍ مِن قوله: ﴿ٱلۡحُطَمَةُ﴾، والرّابط هو تكرار لفظ الحطمة، وهو من باب الإظهار في مقام الإضمار؛ لإرادةِ التَّهويل، كالواردِ في قوله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقَّة: 1 - 3]، وما فيها مِن الاستفهام، وفِعلُ الدِّراية يفيد تعظيمَ شأنِ الحُطَمَة وتهويلَ أمرها(5).

بلاغة الاستفهام في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾:

تهويل وتفظيع، وتفخيم وتشنيع

الاستفهام في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ استفهامٌ غرضه تهويل أمر هذه النّار، وتعظيمها وتفظيع شأنها، وبيان أنَّ كنهَها لا تدركه عقولُ البَشَر(6)، وفيه وعيد شديد.

---

(1) الطِّيبيُّ، فتوح الغيب: 16/ 569.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 286.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 540.
(4) الدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 724.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 540.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 199، وطنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 506، والدُّرَّة، تفسير القرآن وإعرابه: 10/ 724.

وهذا الأسلوبُ أسلوبٌ قرآنيٌّ يُرادُ به التَّعظيم والتَّهويل والتَّكبير والتَّعجيب، أيْ: وأيُّ شيءٍ أعلَمَكَ عظَمَةَ الحُطَمَة وخطرَها العجيب؟ والمعنى: (لمْ تَبلُغْ دِرايتُك عِظَمَ الحُطَمَة، ولا مَبْلَغَ العذاب الذي تشتمِل عليه)؛ إذ هي أمرٌ فظيعٌ جدًّا.

نكتة التَّعبير بـ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ دون (ما يدريك):

يستخدم القرآن الكريم تارةً تركيب ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾، وتارةً: (وَما يُدْريكَ)، غير أنَّ المُلاحَظ أنَّ الأوَّل أغلبُ؛ إذ ورد ثلاث عشرةَ مرَّة، وأمّا الثّاني؛ فقد ورد ثلاث مرّات فقط، وورد في مواضعه الثَّلاثة متبوعًا بفعل الرَّجاء (لعلَّ).

فُسِّرت الحُطَمة بنارٍ تنشب، فهي بـ(ما أدراك) أنسب

وتركيب ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ ممّا جرى مجرى المَثَل، فلا يُغيَّر عن هذا اللَّفظ، وهو تركيبٌ مُرَكَّب مِن (ما) الاستفهاميَّة وفعل (أدْرَى) الذي يتعدَّى بهمزة التَّعدية إلى ثلاثة مفاعيل مِن باب أعْلَمَ وأرَى، فصار فاعلُ فِعلِه المجرَّد، وهو (دَرَى) مفعولًا أوَّلَ بسبب التَّعدية[1].

والفرق بين (ما أدْراكَ)، و(ما يُدْريكَ) أنَّ (ما أدْراكَ) محقَّق الوقوع؛ لأنَّ الاستفهام فيه للتَّهويل، وأنَّ مفعول (ما يُدْريكَ) غير محقَّق الوقوع؛ لأنَّ الاستفهام فيه للإنكار، وهو في معنى نفي الدِّراية، والتَّعبير القرآنيُّ يفرِّق في الاستعمال بين (ما أدْراكَ)، و(ما يُدْريكَ) فيأتي بصيغة الماضي (أدْراكَ) فيما عُقِّب بذكر ما سُلب عِلْمه عن المخاطَب، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر: 2 - 3]، وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: 10 - 11].

أمّا التَّعبير بصيغة المضارع؛ فلا يذكر بعده ما سُلب عِلْمُه عن

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 540.

المخاطَب، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: 63] وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشّورى: 17][1].

وهذا ما عناه المفسّرون بقولهم: "كلُّ ما كان في القرآن مِن قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾؛ فقد أدراه، وما كان مِن قوله: (وَما يُدْريكَ)، فلمْ يُدْرِه"[2]، أي: إنَّ كلَّ موضع جاء فيه تركيب ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ قد أخبر به الله ﷻ نبيَّه ﷺ، أي: أخبره بما فيه، أمّا كلُّ موضع جاء فيه تركيب (وَما يُدْريكَ)؛ فلمْ يخبر به الله تعالى رسولَه ﷺ[3].

وعلى هذا؛ فإيثار التَّعبير القرآنيّ صيغة الماضي في المواضع، التي ذكر فيها ما سُلِب عِلمُه عن المخاطَب؛ جاء للدَّلالة على أنَّ النَّفي مختصٌّ بالزَّمن الماضي فحسب، بدليل أنَّ النَّظم بذِكره لما سُلِب عِلمُه في الماضي قد أزال ذلك النَّفي، أمّا إيثار المضارع في المواضع التي لم يُذكَر فيها ما نُفي عِلمُه عن المخاطَب؛ فللدَّلالة على استمرار ذلك النَّفي فيما يُستقبَل مِن الزَّمان[4].

فإذا تقرَّر هذا؛ فإنَّ قوله تعالى هنا: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ هو الأنسب لسياقه؛ لأنَّه قال بعده مفسِّرًا ما الحُطَمة: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾، "فبعد الاستفهام التَّعظيميّ عن الحُطَمة، المتضمّن التَّعجيب مِن هولها، جاء الجواب الرَّبّانيُّ بأنَّها ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ مع سائر صفاتها الآتيات في السّورة"[5]، فهذا الجواب "يجيب عن هذا السُّؤال؛ ليكشف عن حقيقة هذه الحُطَمَة؛ ليلْتقيَ مع ما وقع في النَّفس مِن تصوُّرات لها، فتزداد حقيقتها وضوحًا وبيانًا، إنَّها ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ قد أوقدها الله، فكانت نار الله، وليست مِن تلك النّار التي يوقدها النّاس"[6].

تعيين المقصود بالخطاب في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾:

المقصود بالخطاب في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ هو أشرفُ الخَلْق وخليلُ الحَقّ رسولنا

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 114، وإبراهيم المطعنيُّ، التَّفسير البلاغيُّ للاستفهام في القرآن، ص: 389.
(2) الفرّاء، معاني القرآن: 3/ 280.
(3) مقاتل بن سليمان، تفسير القرآن: 4/ 811.
(4) إبراهيم المطعنيُّ، التَّفسير البلاغيُّ للاستفهام في القرآن، ص: 390.
(5) عبد الرحمن ابن حسن، تفسير القرآن: 2/ 537.
(6) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1674.

محمَّد ﷺ، فهو الموجَّه إليه الخطاب أصالةً، ثمَّ يليه كلُّ مِن يعقل الخطاب من أُمَّته تبعًا.

الخطاب لسيّد الخَلْق أصالةً، ولأُمَّته تبعًا

فالمعنى: وما أعلَمَك يا أكرم الخَلْق طُرًّا جوابَ هذا الاستفهام، وهو مِن الأمور التي لا تنالها عقول الخلق مع كونك أعلَمَهم؟ إنَّ هذه الحُطَمَة ممّا لا تحيط بها معرفتُك على حقيقتها، فإنَّه ليس في الوجود الذي شاهدتموه ما يقاربها؛ ليكون مثالًا لها، فلا يعلم شأنَها، ولا يقف على كُنهها إلّا مَن أعدَّها لمَن يستحقُّها[1].

نوع ﴿مَا﴾ ودلالتها في قوله: ﴿مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾:

﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ استفهاميَّة[2]، غرضها التَّهويل والتَّفظيع والتَّفخيم لشأن النّار المُسَمّاة بذلك[3].

بلاغة الإظهار في مقام الإضمار في ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾:

إظهار بالتَّكرير؛ لإفادة التَّهويل والتَّقرير

في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ إظهار في مقام الإضمار؛ إذ كان مقتضَى الظّاهر أن يُقال: (وما أدراك ما هي)، ولكنَّه أظهر اسم ﴿ٱلْحُطَمَةُ﴾، ولم يضمرهُ؛ لكمال التَّقرُّر في الذِّهن[4]، وللتَّهويل المستفاد مِن تكريره، وهذا كقوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقَّة: 1 - 3][5].

بلاغةُ الوعيد في أسلوب الاستفهامِ والجوابِ:

وعيد ما أشدَّه! هيَّأهُ الله تعالى وأعدَّه

تَظْهَر بلاغة الوعيد في أسلوب الاستفهام والجواب، في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾، في تنبيه الذِّهن إلى خطورة ما ينتظر الشَّخص الهُمَزَة اللُّمَزَة مِن العقوبة الشَّديدة، التي تقع عليه يوم القيامة، فالاستفهام

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 22/ 246، والهرريُّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 32/ 318.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 579، ومحمود صافي، الجدول: 15/ 404.
(3) الدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 724.
(4) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 433.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 540.

فيه ما فيه مِن التَّهويل والتَّفظيع، والجواب جاء بما لا مزيد عليه في التَّخويف مِن الحُطَمَة والتَّفخيم مِن شأنها، وفي ذلك مبالغة شديدة في الوعيد والتَّحذير مِن الاتِّصاف بهذه الأوصاف القبيحة.

علَّة فصل قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ عن سابقه:

إطنابٌ في الكلام، بالتَّفصيل بعد الإبهام؛ لإخافة عقلاء الأنام

قوله سبحانه: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ "استئنافٌ لبيان شأن المسؤول عنها في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾، أي: هي ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ بأمر الله ﷻ"[1].

فالجملة الكريمة جواب عن جملة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾، يُفيدُ مجموعُ الجملتين بيانَ حقيقةِ الحطمةِ، والجملة واقعةٌ موقعَ الاستئناف البيانيّ، والتَّقدير: هي - أي: الحُطَمَة - ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾[2]، وهذا بيانٌ لحقيقةِ الحُطَمَة وتفصيلٌ لشأنِها بعد ما تقدَّمَ مِنْ إبهامها[3].

بلاغة حذف المسند إليه في قوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾:

تعجيل للمساءة لمَن أدمن الهمز والإساءة

في حذف المسند إليه مِن جملة الجواب: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ إيجاز بحذفِ ما هو مفهوم مِن الكلام؛ تعجيلًا للمساءة لمَن اتَّصف بما جاءت السّورة محذِّرةً منه، وإثارة لذهن المتلقّي نحو استنباط المسند إليه المحذوف الذي هو ضمير يعود على ﴿ٱلْحُطَمَةُ﴾ أو هو ﴿ٱلْحُطَمَةُ﴾ نفسها، ممّا يجعله يستقرُّ في الذِّهن، فيشتدُّ تأثير الوعيد في النَّفس.

وقد جاء "حذف المبتدأ مِن الجملة؛ جريًا على طريقة استعمال أمثاله مِن كلِّ إخبار عن شيء بعد تقدُّم حديثٍ عنه، وأوصافٍ له"[4].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 462.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 540.
(3) طنطاويٌّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 506.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 540.

دلالة إضافة لفظ النّار إلى الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهِ﴾ في ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾:

في الإضافة إلى الاسم الجليل تفخيمٌ وتعظيم وتهويل

جاء إضافة لفظ ﴿نَارُ﴾ إلى الاسْمِ الأحسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾؛ للتَّفخيم والتَّهويل مِن شأنها، أي: هي نار لا كسائر النّيران[1]، وأيضًا فإنَّ في الإضافةِ ترويعًا بها بأنَّها نارٌ خَلَقَها القادر على خلْقِ الأمور الجليلةِ الشَّأنِ العظيمةِ المقدارِ[2].

ففي إضافة النّارِ إلى الله سبحانه ووصفِها بالإيقادِ تهويلٌ لأمرِها وتعظيمٌ لشأنِها[3]، والمعنى: هي نارُ الله تَعالى، وإذا كانت نارَ الله سُبحانَهُ؛ فأمْرُها مَهولٌ وخَطَرُها عظيم، وأيضًا فإنَّ هذه الإضافةَ في ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ تُشير إلى أنَّ نارَ الله تَعالى هذه التي أعدَّها دارًا لعذاب أهل الباطِلِ مِنْ مُستَحِقّي العذاب في الآخرةِ، هي إعدادُه تَعالى، وليست إعدادَ أحَدٍ مِن خَلْقِه، فهي نارُ الله تَعالى العظيمةُ، فالمؤمن العاقل يخافُها، ويخشاها أشدَّ ما يكون الخوفُ والخشيَةُ، فيجتَنِب كلَّ قول أو عمَلٍ يُقرِّبُ إليها.

وهذا كلُّه لا يؤدِّي إليه التَّعريف باللّام، فلذلك أوثِرت الإضافة إلى الاسم الأحسن الأجلّ.

بلاغَةُ وصفِ النّار بـ ﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾، والنّار لا تكون إلّا موقدة:

نـارٌ عظيمة لا تعرف الخمود، والكافر متوَعَّدٌ فيها بالخلود

النّار لا تكون إلّا موقدة، فوصفُها بالموقدة في مقام النَّذير تأكيدٌ للوعيد وإرهاب بهَوْلِه[4].

فمعنى ﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾: أنَّها لا تخمد أبدًا[5]، فهي نارٌ "قد أوقدها الله، فكانت نارَ الله، وليست مِن تلك النّار التي يوقدها النّاس"[6]،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 286، والزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 30/ 400.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 540.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 199.
(4) بنت الشّاطئ، التَّفسير البيانيُّ للقرآن الكريم: 2/ 177.
(5) الدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 724.
(6) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1674.

فهي تتَّقِدُ على وجهِ الدَّوامِ، وليست كسائر النّيرانِ التي تتَّقد تارةً، وتخمد أُخرَى؛ لأنَّ ما أوقِد، وأُشعِل بأمرهِ تَعالى لا يقدر أحدٌ أنْ يُطفئه إلّا هوَ سبحانه[1].

دلالةُ بناءِ اسمِ ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ للمفعول:

الإشـــارة إلى إيقاد الله تعالى لها، ممّا يؤكِّد هولَ عذابِها

في بناء ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ للمفعول إشارة إلى أنَّ هذه النّار لم تشتعل بنفسها، وإنَّما أوقدها موقِدٌ، هو اللّه الملك الأعظم ﷻ، ممّا يؤكِّد شدَّة اتِّقادها وهول عذابها، وأنَّها مأمورة مِن اللّه تعالى بتعذيب الكفرة والعصاة.

وأيضًا فإنَّ هذه الصِّيغة أفادت باسميَّتها أنَّ الإيقاد ثابتٌ على الدَّوام[2]، وأفادت بصيغتها أنَّ هذه النّار تُمَدُّ دومًا بالوُقود الذي يجعلها في حالة اشتعال دائم.

علَّة فصلِ قولِهِ تَعالى: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ عن سابقِه:

بـينَ الاستئناف والإتباعِ تهويلٌ لـلـحُـطَـمَـة واستفظاعٌ

قولُهُ تعالى: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ يجوز فيه وجهان: الإتّباع، والاستئناف.

أمّا الإتّباع؛ فعلى أنَّها صفة أُخرَى مِن صفات هذه النّار الموقَدَة، وأمّا الاستئناف؛ فعلى أنَّها في محلِّ رفعٍ خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره (هي)[3].

وعلَّة الفصل على الوصفيَّة هي إرادة تعديد الأوصاف بترك العطف، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج: 14 - 16].

وعلَّة الوصف على الاستئناف: هي شبه كمال الاتِّصال بين الجملتيْن؛ إذ هي في موقع جواب سؤالٍ عن هذه النّار الموقدة.

(1) محيي شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/ 684، والهرريُّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 32/ 318.

(2) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 434.

(3) السَّمين الحلبيُّ، الدُّرُّ المصون: 11/ 108، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 580.

سرُّ إيثار المغايرة في التَّعبير بين الاسميَّة والفعليَّة في ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾، و﴿تَطَّلِعُ﴾:

في الاسم ثبوت واستقرار، وفي الفعل المضارِع تجدُّدٌ واستمرار

أوثِر في وصف النّار المغايرة بين الاسميَّة والفعليَّة، فاختيرَت الاسميَّة في جانب الإيقاد، وأوثِرت الفعليَّة في جانب الإحراق.

ففي التَّعبير بوصف ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ دلالة على الثَّبات والدَّوام، فهذه النّار لا تزال تلتهِب، ولا يزول لهيبُها[1].

وهذا الوصف يدلُّ على أنَّها لا تنطفئ أبدًا، ولو قيل في غير القرآن: (التي أوقِدت)، فلربَّما فُهِم أنَّها أوقِدت، ثُمَّ انطفأت.

أمّا التَّعبير بفعل ﴿تَطَّلِعُ﴾؛ فيفيد التَّجدُّد والاستمرار، ويدلُّ على أنَّ الإحراق متجدِّد ومستمرٌّ، أي: كلَّما أحرقت النّار ظاهر أجسادهم، واطَّلعت على أفئدتهم، فأحرقتها؛ عادوا كما كانوا، فتجدَّد لهم العذاب - والعياذ بالله - وأيضًا فإنَّ في التَّعبير به استحضارًا لصورة النّار، وهي تهجُم عليهم، وتَصِلُ إلى أفئدتهم، ممّا يُبرِز هول الموقف، مع ما يحمله الاسم الموصول مِن التَّشويق إلى معرفة الصِّلة المتمِّمة لمعناه، فيكون في ذلك تنبيه إلى فعل النّار في الأفئدة، وذلك لا يظهر في التَّعبير بلفظ (المطَّلعة)، فحرارة النّار ثابتة لا تنخفض، وفِعلُها في الأفئدة متجدِّد ومتكرِّر لتذوق العذاب.

نكتة استعمال مفردة الاطِّلاع دون الإشراف:

تناسب الاطِّلاع مع هجوم النّار وإحاطتها، ونفاذها إلى القلوب وشدَّتها

الاطِّلاع مِن (طَلَعَ)، وهو أصلٌ يدلُّ على ظهورٍ وبُروزٍ، يُقال: طَلَعَتِ الشَّمسُ طلوعًا ومَطْلَعًا، والمَطْلِعُ: موضع طلوعها، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ [القدر: 5]، ويُقال: طلع علينا فلانٌ؛ إذا هجم، وأتى فجأة[2]، ومعناه المحوريُّ: نَفاذُ شيءٍ إلى أعلى مِن أثناء حاجِزٍ رقيقٍ[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 540.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (طلع)، ومجمع اللُّغة العربية، المعجم الوسيط: (طلع).
(3) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (طلع).

وأمّا الإشراف؛ فهو مِن (شَرَفَ)، وهو أصلٌ يدلُّ على عُلوٍّ وارتفاع، يُقال: استشرَفْتُ الشَّيءَ؛ إذا رفعتَ بصرَك تنظر إليه، والمَشْرَف: المكانُ تُشرِف عليه، وتَعلوه[1].

وعلى هذا؛ فالاطِّلاع يتميَّز عن الإشراف بملمح الهجوم، وسرعة الوصول والمجيء فجأة، وهذا يتناسب مع سياق الحديث عن النّار التي تصل إلى أعماق القلوب، فتحيط بها، وتنفذ إليها، فتحرقها إحراقًا تامًّا[2].

وأيضًا فإنَّه يجوز أن يكون الاطِّلاعُ بمعنى الإتيانِ، على وجهِ المبالغةِ في (طَلَعَ)، والمرادُ: الإتيان السَّريع على سبيلِ القوَّةِ والاستيلاءِ، والمعنى: التي تنفذ إلى الأفئدة، فتُحْرِقُها في وقت حرق ظاهر الجسد، ويجوزُ أنْ يكون الاطِّلاعُ بمعنى الكشف والمشاهدة، كما في قول الله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥﴾ [الصّافات: 55]، فيكون ذلك مفيدًا أنَّ النّار تحرق الأفئدة إحراقَ العالم بما تَنْطَوي عليه الأفئدةُ مِن الكُفر والفسادِ والباطلِ، فتصيب كلَّ فؤاد بما هو كِفاؤه مِن شدَّة الحرق بحسب مرتبتِهِ في سوء الاعتقاد[3].

بلاغة إسناد فعل الاطِّلاع إلى النّار:

تشخيصٌ لِهَوْلِها وغَـضْـبَـتِـهـا، وتقريرٌ لفاعليّتها

إسناد الاطِّلاع إلى نارِ اللّه الموقَدة فيه تشخيص لهولها، وتقريرٌ لفاعليَّتها، وذلك على نحو ما شخَّص القرآن الكريم هذا الهول بتقرير فاعليَّة النّار في آيات أخرى، تأتي النّار فيها مبصِرة ناطقة منفعِلة، منها قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفرقان: 12]، وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: 8][4].

وفيه إشارة إلى أنَّ اللّه ﷻ قد خلَقَ في النّار علمًا بما في قلوب

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شرف).
(2) طنطاويٌّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 506.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 541.
(4) بنت الشّاطئ، التَّفسير البيانيُّ للقرآن الكريم: 2/ 178.

الكافرين الذين أُلقوا فيها، وخلَق فيها غيرةً على جنابه سبحانه، وعبوديَّةً له ﷻ تتمثَّل في طاعته بإحراق أعدائه وتعذيبهم، فهي تنتقم مِن أعداء الله تعالى وأعداء أوليائه، فتأكل أجسادَهم، وتُحرِّق قلوبهم التي يعيد الله تعالى خلْقَها؛ كلَّما أذابتها النّار.

بلاغة الاستعارة في التَّعبير عن الإحراق بالاطِّلاع على الأفئدة:

يقال: اطَّلع على الشَّيء؛ إذا أشْرَفَ عليه ناظرًا إليهِ، ويُفْهَمُ مِن هذا الوصف أنَّ مَسَّ عذاب النّار ليس مقصورًا على الجُلود التي كلَّما نَضِجت؛ بدَّلهم الله تَعالى جلودًا غيرها، ليتجدَّد إحساسُهم بعذاب النّار، وإنَّما يَنفُذُ حرُّها إلى أفئدتهم كذلك، كما يَنْفُذُ بصرُ الرّائي إلى الشَّيء الذي يطَّلِع عليه، ففيه تشبيهُ وصول حرِّ النّارِ إلى الشَّيء بوصول نَظَرِ المطَّلع عليهِ، فاستُعير فِعل ﴿تَطَّلِعُ﴾؛ للدَّلالة على وصول حرّ النّار إلى أفئدة المعذَّبين فيها على وجهٍ مُتَجَدِّدٍ.

ينفذ حرُّها إلى الفؤاد المشويّ، كما ينفذ البصرُ إلى المرئيّ

بلاغة حرف الاستعلاء في ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾:

الأصل في معنى (على) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاستعلاء حقيقيًّا كان أم مجازيًّا، ولفظها يدلُّ على ذلك، فهي من العُلوّ[1]، والتَّعبير به في قوله: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ فيه إشارة إلى استيلاء النّار وعُلوّها، فهي تعلو أوساطَ القلوب، وتغشاها[2]، وتذلُّ مَن يُقذَف فيها، وتقهره.

في العُلوّ قهرٌ واستيلاء مناسب لشدَّة الجزاء

بلاغَةُ استِعمالِ الأفئدة دونَ الصُّدور أو القلوب:

أصل الصَّدر هو الجارحة، فصدر الإنسان هو الجزء الممتدُّ مِن أسفل العُنُق حتَّى فضاء الجوف، وسُمِّي القلب صدرًا لحلوله به، ثمَّ استُعير لمقدَّم الشَّيء، كصدر القَناة، وصدر المَجلِس، وصدر الكِتاب، ونحو ذلك[3].

تناسُبُ الأفئدة مع تصوير العذاب النَّفسيّ، بجانب مراعاة الإيقاع الصَّوتيّ

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 230، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 384، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 497، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 47.

(2) الزَّمخشريُّ، الكشاف: 4/ 796، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 199.

(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات، ومجمع اللُّغة العربيَّة، الوسيط: (صدر).

وأمّا القلْب؛ فيدلُّ على خالص الشَّيء وشريفه ولُبِّه، ومن ذلك قلبُ الإنسانِ وغيره، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه أخلَص شيء فيه وأرفعُه، وأيضًا لكثرة تقلُّبه، ويُعبَّر بالقلب عن المعاني التي تختصُّ به مِن الرّوح والعِلم والشَّجاعة وغير ذلك[1].

وأمّا الفؤاد؛ فهو كالقلب، لكن يقال له: فؤاد؛ إذا اعتُبِر فيه معنى التَّفؤُّد، أي: التَّوقُّد، فأصلُ (فَأَدَ) يدلُّ على حُمَّى وشِدَّة حرارة، ومنه قيل: فأدتُ اللَّحمَ: شويته، ولحمٌ فئيدٌ، أي: مشويٌّ، ولفظ الفؤاد يشير إلى وظيفة إنضاج الرَّأي أو الفكرة أو الاتّجاه[2].

وممّا سبق يظهر أنَّ الصَّدر أعمُّ مِن القلب والفؤاد؛ إذ هو الجارحة أو مقدَّم البدن خلاف الظَّهر، أمّا القلب؛ فالملْحظ فيه الشَّرف والخلاصة والتَّقلُّب وهو أعمُّ مِن الفؤاد، وأمّا الفؤاد؛ فهو أخصُّ الثَّلاثة، والملحظ فيه شدَّة الحُبّ والتَّعلُّق والتَّأثُّر.

ولذلك فقد أوثر التَّعبير بالفؤاد في قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾؛ لأنَّه ألطف ما في الجسد وأشدُّه تألُّمًا بأدنى أذى يمسُّه، أو لأنَّه محلُّ العقائد الزّائغة والنِّيّات الخبيثة، ومنشأ الأعمال السَّيِّئة[3].

والفؤاد هو محلُّ النّيّات والمقاصد، ومنه منابع الكِبْر والعُجْب والكفر ورغبات الفجور، فتؤدّي النّار مِن قوَّة تعذيبها وشدَّتِه ما يناسب ما في الأفئدة ممّا يستحقُّ العذاب كمًّا وكيفًا، وفيه دلالة على أنَّ ما كان في الأفئدة في الدُّنيا مِن ذلك يبقى فيها مسجَّلًا كما كان تمامًا[4].

فاستعمال لفظ ﴿ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ في هذا السِّياق يوحي بتجاوز العذاب الحسّيّ إلى العذاب النَّفسيّ، وهذا تصوير منتَهَى العذاب، وبذلك تحقّق الفاصلة التَّناسب المعنويَّ في تصوير العذاب إلى جانب التَّناسب الإيقاعيّ مِن حيث الرِّعاية على الفاصلة[5].

بلاغة الجمع المحلى بـ (ال) في لفظ ﴿ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾:

في التَّعبير بالجمع المحلَّى بـ (الـ) في ﴿ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ إشارة إلى إهلاك النّار لكلِّ ما يُلقَى

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قلب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات، ومحمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فأد).
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 199.
(4) عبد الرحمن ابن حسن، تفسير القرآن: 2/ 538.
(5) بنت الشّاطئ، التَّفسير البيانيُّ: 2/ 177، وعبد السَّلام الرّاغب، وظيفة الصّورة في القرآن، ص: 396.

فيها، وحصول عذابها لجميع المجرمين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾، وعليه فالتَّعريف فيها للعهد الذِّكريِّ، فيقصد بها أفئدة الهَمّازينَ اللَّمّازينَ المتعالينَ على النّاس بما آتاهم الله تعالى مِن متاع الدُّنيا الزّائل، فهؤلاء لهم عذاب زائد على عذاب أهل النّار، بأنْ تُسَلَّط النّار على قلوبهم التي امتلأت حقدًا وكِبرًا وتعاليًا على النّاس، وامتلأت أيضًا حبًّا للمال، فجمعته، وعدَّدته.

تعانُقُ جمال المبنى مع جلال المعنى

أو يكون التَّعريف فيها للجنس، فيشمل فؤاد كلِّ معذَّب فيها، مع ما أفاده هذا التَّعريف باللّام، وجمع ﴿ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ مِن الرِّعاية على الفاصلة، فتعانق جمال المبنى مع جلال المعنى.

بلاغة الاستئناف في جملة ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾:

جملة: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾ يجوز أن تكون وصفًا ثالثًا لـ ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾، دون عاطفٍ، ومن الجائزِ كذلك أن تكون الجملةُ مستأنَفَة استئنافًا ابتدائيًّا[1].

أوْصَدوا على المال أبوابَهم، فأوصدت الخَطَمَة على أبدانهم

وتَظْهَرُ بلاغة هذه الجملة في أنَّه لمّا كان الاطّلاع على الفؤاد مَظِنَّة الموت، وفي الموت راحة مِن العذاب؛ أشار إلى خلودهم فيها، وأنَّهم لا يموتون، ولا ينقطع عنهم العذاب بقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾[2]، فتكون الجملة بذلك واقعةً موقِعَ الاستئناف البيانيّ إجابة عن سؤال: هل يخرجون منها؟ أو متى ينتهي عذابهم فيها؟.

بلاغة التَّوكيد بأداة (إنَّ):

فائدة (إنَّ) التَّأكيدُ لمضمون الجملة، فإنَّ قول القائل: (إنَّ زيدًا قائمٌ) ناب منابَ تكرير الجملة مرَّتين، إلّا أنَّه أوْجَزُ وأخصَر مع حصول الغرض مِن التَّأكيد[3].

تهويلٌ مِن شأن العذاب، ودفع ريبة كلِّ مرتاب

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 541.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 22/ 248.
(3) ابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 526.

وقد جاء تأكيد جملة: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ بـ (إنَّ)؛ لتهويل الوعيد بما ينفي عنه احتمال المجاز أو المبالغة[1].

دلالة حرف الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَيْهِم﴾:

الإشـــارة إلى القهر والغلبة والإطباق، وأنَّ الخروج مِنها غير مستطاع ولا مطاق

الأصل في معنى (على) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاستعلاء حقيقيًّا كان أم مجازيًّا، ولفظها يدلُّ على ذلك، فهي من العُلوّ[2].

والتَّعبير بحرف الاستعلاء في قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ فيه إشارةٌ إلى قهر الهمّازينَ اللَّمّازينَ وغلبتهم، وأنَّهم لا يُمْكِنُهم الخلاص مِن العذاب[3]، وأنَّهم في دركات منها وحضيض قد عَلَتْهُم أبوابُها المؤصدة، وتفيد كلمة ﴿عَلَيْهِم﴾ أيضًا الإطباقَ الملاصِق المباشِر، ولا تقوم مقامها (فوقهم) مثلًا؛ لاحتمال أن تكون الفوقيَّة غير ملاصِقة، ولا مُطبِقة ملابِسة[4].

نكتةُ تقديمِ ﴿عَلَيْهِم﴾ على ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾:

تخـصـيـصٌ واهـتـمـامٌ، ومراعاةُ فواصلِ الكلام

تظهر نكتةُ تقديمِ شبه الجملة ﴿عَلَيْهِم﴾ على الخبر ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مِن وجوه:

أحدها: أنَّ التَّعبير بقوله: ﴿عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ يفيد أنَّ المرادَ أوَّلًا كونُهم بهذه الحال، بخلاف (مؤصدة عليهم)؛ فإنَّهُ لا يفيد هذا المعنى بالمعنى الأوَّل[5].

والثّاني: أنَّ فيه تخصيصًا، فهذه النّار قد أوصدت عليهم خصوصًا، فما هم منها بمخرجين، بخلاف عصاة المسلمين، فيُعَذَّبون إلى حين، ثمَّ يخرجون، كما دلَّت عليه الأحاديث الصَّحيحة.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 541.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 230، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 384، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 497، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 47.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر 22/ 248.
(4) بنت الشّاطئ، التَّفسير البيانيُّ للقرآن الكريم: 2/ 179.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 286.

والثّالث: أنَّ في التَّقديم اهتمامًا بتعلُّق الغلق عليهم؛ تعجيلًا للتَّخويفِ والتَّرهيب، كما كان في هذا التَّقديم مراعاةُ تناسُبِ الفواصلِ[1].

والرّابع: أنَّ فيه تشويقًا لمعرفة الخبر المتأخّر، فإذا ما قيل؛ تمكَّن مِن النَّفس أشدَّ التَّمكُّن.

تعيين مرجع الضمير في ﴿عَلَيْهِم﴾:

مرجعُه إلى كلِّ هُمَزَة لُمَزَة بطّال، منّاع للخير جمّاع للمال

الضَّمير في ﴿عَلَيْهِم﴾ يرجع إلى الهُمَزَة اللُّمَزَة، الجَمّاع للمال، المنّاع للخير، وأُعيد الضَّمير بلفظ الجَمْعِ مع أنَّ المرجع مفردٌ باعتبار المعنى؛ لأنَّ ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ عامٌّ يشمل جميع الهمّازين وجميع اللَّمّازين[2].

بلاغة التَّعبير ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ دون (مغلقة):

في الإيصادِ إطباقٌ بإحكام؛ جزاءً لمَن أوصد أبوابَه دون الأنام

يتميَّز الإيصاد عن الإغلاق بخصوصيَّة الدَّلالة على إحكام الإغلاق، وقوَّة الإطباق، وشدَّة التَّحصين، والعربيَّة استعملت (الوصيد) للبيت الحصين، يُتَّخذ مِن حجارة في الجبال[3]، وقوله تعالى: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ اسم مفعول مِن أوصدتُ البابَ؛ إذا أغلقته بشدَّة بحيث لا يُستطاع الخروج منه، وهذا يدلُّ على أنَّ هذه النّار مِن صفاتها أنَّها مُطبَقة ومُغلقَة على أهلها بحيث لا يستطيعون الخروج منها، ولا يجدون لهم فيها منفذًا إلى العالَم الخارجيّ[4]؛ لذا فالتَّعبير بـ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ أبلغ في الدَّلالة على شدَّة العذاب مِن (مغلقة).

وأيضًا فإنَّه لمّا ذُكر في أوَّل السّورة أنَّ هذا الكافر يجمع المال، ويعدِّده، ويحفظه؛ جاء التَّعبير هنا بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ إشارة إلى أنَّه كما حَفِظَ المالَ، وجَمَعَهُ، وأغلق عليه الأبواب، واستوثق مِن حِفظه في الدُّنيا؛ كان جزاؤه في الآخرة أنْ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 363.
(2) ابن عثيمين، تفسير جزء عم، ص: 317.
(3) الرّاغب الأصفهانيُّ: المفردات: (وصد)، وبنت الشّاطئ، الإعجاز البيانيُّ للقرآن، ص: 276.
(4) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1674، وطنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 506.

أُغلِقت عليه أبوابُ جهنَّم، واستوثِق منها، فناسب الاستيثاقُ مِن حفظ المال وإيصادِ الأبواب عليه الاستيثاقَ وإطباقَ الأبواب عليه في النّار؛ جزاءً وِفاقًا[1].

دلالةُ قولِهِ تعالى: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ على وجود الأبوابِ، وفائدتُه:

تبكيت وتحسير، وبيان لسوء المصير

إنَّ قوله تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ يقتضي أنَّه موضع له قعر عميق جدًّا كالبئر، ولو شاء؛ جعل ذلك الموضع بحيث لا يكون له باب، لكنَّه بالبابِ يذكِّرهم الخروج، فيزيد في حسرتهم[2].

بلاغة القراءات المتواترة في ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾:

تنوَّعت القراءات في قَوْله تَعالى: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾، فقرأه بالهمز أبو عمرو، ويعقوب وحمزة وخلف العاشر وحفص، وقرأه الباقون بغير همز: ﴿مُّوصَدَةٌ﴾[3]. وثمَّة فرقٌ بين ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ و﴿مُّوصَدَةٌ﴾، والخلاصة: أنَّ ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ من (أَصَدَ)، وهو: نوع إحكامٍ وحَجْبٍ للشّيء بما يَسُدُّ المنفذَ إليه بإغلاق بابه بإحكام، وإطباق الباب عليه، بينما ﴿مُّوصَدَةٌ﴾ من (وصد)، وهو إحكام حَجْبٍ للشّيء بما يَسُدُّ المنفذ إليه من جوانبه بإحكام هذه الجوانب بالحجارة، أو ما يشبهها، كالوَصِيدَة التي تُتَّخَذُ من الحجارة لحفظ المال وهي الخزنة، ففي كلِّ واحدة من القراءتين معنًى يُكَمِّل الآخر، فإحداهما تدلُّ على إحكام حَجْبٍ للشّيء بما يَسُدُّ المنفذ إليه في بنائه من جوانبه، والأخرى تدلُّ على إحكام حَجْبٍ للشّيء بما يَسُدُّ المنفذ إليه من بابه، بإغلاق هذا الباب بإحكام، وإطباق الباب عليه.

التَّوجيه النَّحويُّ والبيانيُّ لقوله تعالى: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾:

ثراء الدَّلالات بتعدُّد التَّوجيهات، وتنوُّع التَّأويلات

في موقع قوله تعالى: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ وجوه[4]:

(1) السّامرّائيُّ، لمسات بيانيَّة، ص: 281.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 286.
(3) ابن الجزريّ، النّشر: 1/ 395.
(4) النَّحّاس، إعراب القرآن: 5/ 182، والعكبريُّ، التِّبيان: 2/ 1304، والمنتجَب الهمذانيُّ، الكتاب الفريد: 6/ 463، والسّمين الحلبيُّ، الدُّرُّ المصون: 11/ 108، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 541.

أحدُها: أن يكون في موضع رفع على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أي: هُم في عَمَد، أي: هم مغلَّلون بعَمَد مِن حديد قد احترقت فصارت نارًا، أو توصَد عليهم الأبواب، أي: تُطبَق، ويقام عليها عَمَدٌ مِن حديد؛ ليكون ذلك أشدَّ ليأسهم مِن الخروج.

والثّاني: أن يكون في موضعِ نصب على الحال مِن الضَّمير المجرور في ﴿عَلَيْهِم﴾، أي: في حال كونهم في عَمَد، أي: موثوقين في عَمَد، كما يوثَق المسجون المغلَّظ عليه مِن رجليه في فلقة ذات ثقب يدخل في رِجله أو في عنقه، وفي ذلك تأكيد ليأسهم مِن الخروج بالإيثاق بعد الإيصاد، وهذا أعظم الويل وأشدُّ النَّكال.

والثّالث: حال مِن ضمير ﴿إِنَّهَا﴾، أي: إنَّ النّار الموقَدة في عَمَد، أي: متوسِّطةٌ عَمَدًا كما تكون نار الشِّواء؛ إذ توضَع عَمَدٌ، وتُجعَل النّارُ تحتَها تمثيلًا لأهلها بالشِّواء.

والرّابع: أن يكون مِن صِلة ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ و﴿فِي﴾ بمعنى الباء، أي: مؤصدة عليهم بعَمَد.

بلاغة حرف الظَّرفيَّة: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾:

تيئيسٌ مِن الخروج بالإيثاق، بعد الإيصاد والإطباق

الأصل في معنى (في) أنَّه حرفٌ موضوع للدَّلالة على الظَّرفيَّة والوعاء، مكانيَّة أو زمانيَّة، حقيقيَّة أو مجازيَّة[1].

قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ يحتمل وجهين؛ "**أحدهما**: أنَّها عَمَد أُغلِقت بها تلك الأبواب، كنحو ما تغلق به الدُّروب، و(في) بمعنى الباء، أي: إنَّها عليهم مؤصدة بعَمَد مُدَّت عليها، وإنَّما لمْ يقل: بعمد؛ لأنَّها لكثرتها صارت كأنَّ الباب فيها، **والآخَر**: أن يكون المعنى: إنَّها عليهم مؤصدة حالَ كونهم موثَقين في عَمَد ممدَّدة، مثل

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 226، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 471، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 57.

المقاطر التي تقطر فيها اللُّصوص"[1]، فصارت هذه المقاطر ظرفًا أو وعاءً لأيديهم وأرجلهم، "فهُم بهذه القيود في سجن، داخل هذا السِّجن"[2]، وفي ذلك تيئيس لهم مِن الخروج.

نكتةُ جمعِ ﴿عَمَدٍ﴾ وتنكيرها:

فـي التَّنكير تعظيمٌ وتكثير

في جمع ﴿عَمَدٍ﴾ دلالة على الكثرة، وفي التَّنكير دلالة على التَّهويل والتَّعظيم، أي: هي عَمَد عظيمة كثيرة، لا يُقادَر قدرُها، ولا يُعلَم كُنهُها، فالعَمَد بفتحتَيْن، والعُمُد بضمَّتين جمع كثرة لعَمود أو عِماد، كرُسُل وكُتُب جمع رسول وكِتاب، وجمع القِلَّة: أعمدة[3].

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّة المتواترة في ﴿عَمَدِ﴾:

أحرفٌ نورانيَّة، ومعانٍ سامية عليَّة

قرأ شعبةُ عن عاصم، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخَلفٌ البزّار ﴿عُمُدٍ﴾ بضمَّتين، وقرأ باقي العشرة ﴿عَمَدٍ﴾ بفتح الميم والعين[4]، "والعُمُدُ والعَمَدُ جمعان للعَمود، مِثل: الأديم والأُدُم والأَدَم، والإهاب والأُهُب والأَهَب، والقَضيم والقَضَم والقُضُم"[5].

دلالَةُ التَّعبير بقوله: ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ دون (ممدودة):

زيادةُ المعاني مـلازِمَـةٌ لـزيادة المباني

أوثر التَّعبير بلفظ ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ دون (ممدودة)؛ لأنَّ في لفظ ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ مبالغَةً في المعنى ليست في (ممدودة)، فإنَّ ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ معناها: المجعولَةُ طويلةً جدًّا، وهي اسم مفعول مِن (مدَّده)؛ إذا بالَغَ في مدِّه، أي: الزِّيادة فيه، وفي هذا الوصفِ تقويةٌ لتَمْثيلِ شدَّة الإغلاظ عليهم بأقصى ما يبلغه متعارف النّاس مِن الأحوال[6]، أمّا (ممدودة)؛ فهي اسم مفعول مِن الثُّلاثي (مُدَّ)، وفي زيادة مبنى (مُدِّدَ) عن (مُدَّ) زيادة معنى في الأوَّل ليست في الأخير.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 287.
(2) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1674.
(3) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/ 684.
(4) أبو عليٍّ الفارسيُّ، الحُجَّة: 6/ 442.
(5) الفرّاء، معاني القرآن: 3/ 291.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 542.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الهُمَزَة واللُّمَزَة:

اخُتلِفَ في الفرق بينهما على أقوال[1]:

أحدُها: الهُمَزَة: الذي يغتاب بالغَيبة، واللُّمَزَة: الطَّعّان في الوجه.

والثّاني: الهُمَزَة: الذي يَطعَن في وجهِ الرَّجُل، واللُّمَزة: الذي يغتابه مِن خلفه؛ إذا غاب.

والثّالث: الهُمَزَة: الطَّعّان في النّاس بذِكرِ عيوبِهم، واللُّمَزة: الطَّعّان في أنسابهم.

والرّابع: الهُمَزَة: الذي يُؤذي جلساءَه بسوء اللَّفظ، واللُّمَزة: الذي يكسِر عينَه على جليسه، ويُشير بعينِه ورأسِه وبحاجبَيه.

والخامس: الهُمَزَة الذي يعيب جهرًا بيدٍ أو لسان، واللُّمَزة: الذي يعيبهم سرًّا بعينٍ أو حاجب.

والسّادس: الهَمْز: الكَسْر كالهَزْم، واللَّمْز: الطَّعن كاللهز، شاعا في الكسرِ من أعراض النّاس والغَضِّ منهم واغتيابهم والطَّعن فيهم، وأصل ذلك كان استعارةً؛ لأنَّه لا يُتَصوَّر الكسر والطَّعن الحقيقيّان في الأجسام.

والأظهر أنَّ لَفْظَتَي الهَمْز واللَّمز متقاربتان في مَعْناهُما؛ إذْ تَشتَرِكان في الدّلالة على العَيْبِ والطَّعن في النّاس، إلّا أنَّ اللَّمْز يتميَّز بالظُّهور، فهو عيبٌ في المواجهة، ويمتاز الهمز بالخفاء، فهو عيبٌ بالغَيْبِ[2].

النَّبذ والإلقاء:

الفرق بينهما أنَّ النَّبْذَ إلقاءُ الشَّيء وطرحُه استهانةً به، وإظهارًا للاستغناء عنه؛ ولهذا يقال: نبذتُه نبذَ النَّعل الخَلِق، ولذا أوثِر لفظُ (النَّبْذ) دون (الإلقاء)، في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾، وأوثِر أيضًا في قول الله ﷻ: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ [آل عمران: 187][3].

---

(1) الواحديُّ، التَّفسير البسيط: 24/ 307، والماورديُّ، النُّكت والعيون: 6/ 336، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 181 - 182، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 460، وابن فارس، المقاييس: (هزم)، و(لهز)، وابن منظور، لسان العرب: (همز)، والفيروزابادي، القاموس، القاموس المحيط، والزَّبيديُّ، التّاج: (لمز).

(2) محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 375.

(3) العسكريُّ، الفروق اللُّغوية، ص: 297، والرّاغب، المفردات: (نبذ)، ومحمَّد الهلال، تفسير القرآن الزَّريُّ: 7/ 121.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"